الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الظواهر التطريزية ودورها في انتاج المعنى

- الوقف في القرآن الكريم أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبتين:
*- بلبيوض مفيدة
*- نشناش ايمان

إشراف الأستاذة:
مسيلي وردة

السنة الجامعية: **2017/2016**

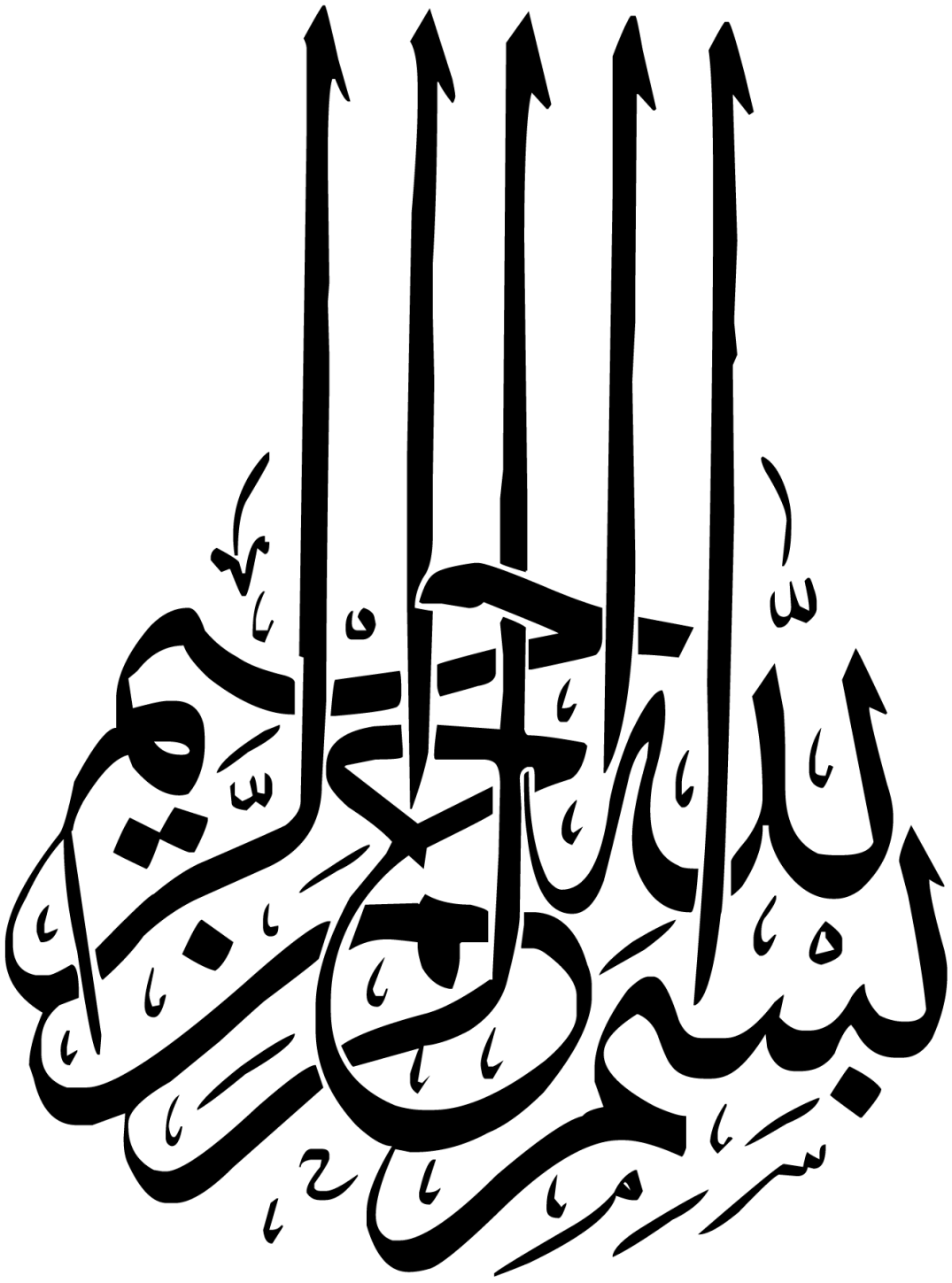
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

"ربي أوزعني أن أكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترداه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

[سورة النمل الآية 19]

عرفانا منّا بالفصل فإننا نتقدم بالشكر الجزيل، وعظيم الامتنان لأستاذتنا المشرفة "**مسيلي وردة**" إذ كانت لنا عونا بعد الله فلم تبخل علينا بالرأي السديد والمشورة وإسداد النصائح، والتوجيهات والملاحظات القيمة، فجزاكِ الله خير الجزاء، ودمت ذخرا وشعاعا لطلبة العلم تضيء دربهم.

كما نتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدنا وأسهم في إنجاز هذه الدراسة.

الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين
أهدي بحثي هذا إلى:
الشمعة المضيئة التي أنارت لي دربي، إلى التي قاسمتني العناء وأمدت لي يد العون لأحقق الهناء. أمي الغـالية.
للذي سهر، تعب من أجل إكمال مسيرتي العلمية والوصول إلى تحقيق الآمال والرجاء. أبي الغـالي.
إلى كل أحبتي إخوتي معاذ، أمير، أخي الصغير ومساعدي بدرالدين، أخواتي حسنى، دنيا والصغيرة ندى.
إلى خالتي وعائلتها أحبتي ملاك، لؤي، أحمد والكتكوت طه.
إلى زميلتي في العمل "مغيـدة".
إلى صديقاتي: مروة، سعدية، إيـمان ونوارة.

*****ولا أنسى خطيبي ورفيق دربي "شريف*****.
إلى كل الاصدقاء والزملاء، وإلى الأستاذة المشرفة" وردة مسبلي " وإلى كل الأساتذة الكرام خاصة الإستاد " قبايلي عبد الغاني " والإستاد " سايم مزهود " وإلى كل من مد يد العون من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيبة إلى كل محبي العلم وطالبيه.

إيمـان

الإهداء

أهدي بحثي هذا الى:
إلى التي رأني قلبها قبل عينيها
وحضنتني أحشاءها قبل يدها
إلى من لا يمكن للكلمات ان توفي حقها
إلى أمي الغالية أدامها الله لي.
إلى ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح إلى الذي علمني وأخذ بيدي وأنار لي طريق العلم والمعرفة
إلى أبي الغالي أدامه الله لي.
إلى من هنحني أجمل الأحاسيس وأرق وأنبل المشاعر وأروعها، إلى أعز مخلوق في الكون لأنك الحب لأنك الروح التي أحب أن أبقى معها دائما لأنك الزوج والحبيب أقول لك من كل قلبي أدامك الله لي إلى الذي رآه قلبي وعشقه قبل أن تراه عيناي وحملته يداي واحتواه جفني ورعته عيناي
إلى فلذة كبدي صلاح الدين أدامه الله وأطال في عمره .
إلى أخوات زوجي كبيرهم وصغيرهم : ابتسام -نوال-صبرينة-بسمة-هنادي-فردوس-عماد – جبريل-مهند-مهدي-لقمان والكتكوتة أماني
إلى والدي زوجي العزيز أطال الله في عمرهما.
وإلى خالتي الغالية: خالتي فتيحة راجية من المولى عز وجل أن يرحمها ويجل مثواها الفردوس الأعلى.
إلى رفيقتي في العمل: إيمان.
إلى صديقاتي: مروة وابنتها رتيل ، وداد ، سلاف ، نوارة .
إلى كل الاصدقاء والزملاء، وإلى الأستاذة المشرفة" وردة مسيلي " وإلى كل الأساتذة الكرام خاصة الإستاد " قبايلي عبد الغاني " والإستاد " سليم مزهود " وإلى كل من مد يد العون من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيبة إلى كل محبي العلم وطالبيه.

مفيدة

مقدمة

مقدمة

الحمد لله معلِّم الانسان مالم يعلم، ومنزل القرآن الأعظم المعجز بآياته وتناسب سوره وفواصله فهو رسالة الإسلام الخالدة على مر الأزمان، وسر من أسرار البلاغة والبيان، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا وبعد:

إن اللغة العربية هي من أرقى أدوات التواصل بين البشر على مر العصور وهي لغة لها مكانتها بين لغات العالم ويكفيها غزة وفخراً أنها معجزة الله تعالى التي أنزلها للعالم في كتابه الكريم، وبها نزل الوحي برسالة خالدة لأخر الزمن، وهي من اللغات السامية والقديمة والأكثر انتشارا بين اللغات الأخرى.

وللغة العربية أهمية قصوى في حياتنا فهي تتميز بجمال أسرارها وهي اللغة السٌرمدية تركت في عقولنا أثراً لا مردُ له واتخذت لغات عديدة دربا من دروب اللغة العربية كاللغة الكردية والفارسية وغيرها، هي بحر زاخر لا نهاية له وتوجد العديد من الحروف في اللغة العربية لا توجد في لغة سواها وهي اللغة الأصل لا تشوبها شائبة وتظل اللغة العربية هي اللغة الخالدة على مر العصور والأزمان.

وتعد الظواهر التطريزية أو الوقائع اللسانية لها علاقة بالملفوظات اللغوية وتعد من أهم الموضوعات التي شكلت مدار اشتعال اللغويين واللسانيين لهدا كان موضوع بحثنا يدور حول أهم الظواهر التطريزية وأثرها في انتاج المعنى (الوقف في القرآن الكريم نموذجاً).

فماهي أهم الظواهر التطريزية وما مدى تأثيرها في انتاج المعنى؟

والذي دفعنا لاختيار هدا الموضوع هو تعلقه بكتاب الله تعالى من خلال نموذج الوقف في القرآن الكريم وما مدى تعلقه بصورة كبيرة بالوقائع اللسانية العربية.

أما الهدف من اختيارنا لهدا البحث هو البحث عن حقائق وخبايا الظواهر التطريزية واستنباط مفاهيم ونظريات أخرى لها علاقة بها.

– وقد تنوعت مصادر المذكرة وتشعبت مراجعها بتنوع فصولها ومن أهم ما اعتمدنا عليه من كتب لغوية ولسانية أهمها: كتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان وكتاب من أسرار اللغة العربية لإبراهيم أنيس ومعاجم أهمها لسان العرب لابن منظور، أساس البلاغة للزمخشري وغيرها ...

وقد اقتضت طبيعة المنهج أن تخد المنهج الأسلوبي التحليلي، لأن المنهج التحليلي يعتمد على وصف الظاهرة التطريزية وتحليلها بتواجدها داخل القرآن الكريم.

أما خطة البحث فجاءت مقسمة إلى مدخل وفصلين نظري وتطبيقي في آن واحد، تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة، فالمدخل مهدنا فيه للموضوع حيث تناولنا فيه بعض المصطلحات كالإعجاز اللفظي، الإعجاز البلاغي وتعريف الظاهرة التطريزية.

أما الفصل الأول: درسنا فيه أهم الظواهر التطريزية وتتدرج تحته ثلاث مباحث.

المبحث الأول: تناولنا فيه ظاهرة السياقات غير المقامية ودورها في إنتاج المعنى

. المبحث الثاني: فقد تحدثنا فيه عن الفاصلة القرآنية، أنواعها، خصائص متخذين سورة مريم نموذجًا)

المبحث الثالث: فقد تناولنا فيه مفهوم ظاهرتي النبر والتنغيم، أنواعهما وأثرهما في إنتاج المعنى (سورة عبسَ نموذجا).

أما الفصل الثاني: فقد تطرقنا فيه إلى ظاهرة الوقف في القرآن الكريم وهو بدوره ينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول: تحدثنا فيه عن مفهوم الوقف وأنواعه ومواضعه أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه البعض انواع الوقف ونماذج من القرآن الكريم.

وفي الاخير خلصنا إلى نتائج: والتي هي عبارة عن حوصلة شاملة للبحث أهمها: تقديم تفسير دقيق وشامل وبسيط للظواهر التطريزية في القول القرآني أو بمعنى آخر تقديم تفسير للتطريز في اللغة العربية مادام القرآن الكريم يمثل مصدرا من مصادرها بالإضافة إلى بروز الدور اللساني للتطريز من خلال الكشف عن دوره في القول القرآني.

ومن الصعوبات التي واجهتها أثناء بحثنا نحن في استغناء عن ذكرها وآخر عنصر قمنا به تلخيص عام عن المذكرة. وآخرها مسك بشكر وتقدير للأساتذة الكرام الذين أضاءوا مواطن الجهل فينا ولم يبخلوا علينا من وقتهم ونصائحهم .

مدخل

الإعجاز اللفظي و البلاغي

❖ **المبحث الأول:** دراسة عن الإعجاز اللفظي و البلاغي.

❖ **المبحث الثاني:** مفهوم الظواهر التطريزية في اللغة العربية.

مدخل

الإعجاز البلاغي

- أولا : الإعجاز لغة واصطلاحا

(أ) الإعجاز لغة : الإعجاز من " عَجَزَ " نقيض الحزم ، عجز عن الأمر يَعْجِزُ عَجْزاً فيهما ، والعَجْزُ : الضعف تقول عجزت عن كذا أَعْجِزُ والمعْجَزَة بفتح الجيم وكسرها ، مفعلة من العَجْز : عدم القدرة ، ومعنى الإعجاز الفوت والسبق يقال أعجزني فلان أي فاتني والمُعْجِزَة بضم الجيم واحدة ، جمع معجزات مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام[1].

(ب) الاعجاز اصطلاحا :

الإعجاز في الكلام : « هو أن يؤدي المعنى بطريق هو ابلغ من جميع ما عداه من الطرق »[2]

، والمُعْجِزَة «أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة »[3]

- ثانيا : الإعجاز البلاغي عند السيوطي

من كتب جمال الدين السيوطي التي تكلم ولمّح فيها إلى إعجاز القرآن الكريم (المعترك) و (الإتقان) وفي مقدمة هذا الأخير أشار السيوطي بقول بيّن فيه رايه في هذا المقام »فبعد حمده تعالى سبحانه على هذا الكتاب ، الذي جعله تبصرة لأولى الألباب ، وأودع فيه من فنون العلوم والحكم والعجب العجاب ، راح يصف لنا ما حوى القرآن الكريم من العلم ، ذلك العلم الذي لا يدرك ولا يمكن الوصول تتميته »[4]

مستدلا في ذلك بقوله تعالى:﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾الآية 85 من سورة الإسراء ، ومن بين تلك العلوم التي أودعت فيه أن «... البياني يهتدي به إلى حسن

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري : لسان العرب دار صادر بيروت للطباعة والنشر طبعة 2001 مادة عجز – المجلد العاشر صفحة 51

[2] شريف علي بن محمد الجرجاني – التعريفات – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – مطابع دار الكتب ص 43

[3] حافظ جلال الدين عبد ارحمن السيوطي – الإتقان – مطبعة المشهد الحسيني القاهرة الطبعة الأولى 1387 / 1987

[4] المرجع نفسه ص 3/1.

النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام »[1] ، وقال أيضا «هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز لا يقدر عليه إلا علَّام الغيوب »[2]

–إن الحديث عن الإعجاز البلاغي يقودنا بالضرورة إلى الوقوف عند آثاره الجليلة والواضحة في علوم اللغة العربية ونخص

بالذكر علم المعاني والبديع والبيان ، فقد عمل اللغويون في دراساتهم بتشخيص الجملة وكل ما يحصل فيه من تقديم وتأخير

في علم المعاني وتشبيه واستعارة في علم البيان ، وإبهام وانسجام أو تبديع في علم البديع ونستهل ذكرنا في الحديث عن علم « فالقرآن الكريم يتّسم فيه بفن التقديم والتأخير كما في غيره من الفنون الأخرى في وضع الألفاظ الوضع الذي تستحقه والوصف الذي تستقر عليه »[3]، مراعيا في ذلك « جميع المواضيع التي وردت فيها اللفظة نظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله ، فنرى التعبير متسق متناسق مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة »[4] تكلم السيوطي عن التقديم والتأخير معتبرا إياه وجها من وجوه الإعجاز القرآني ونوعا من أنواع علوم القرآن[5]

« ولقد رأى السيوطي أن في تقديم بعض من ألفاظ القرآن الكريم وتأخيرها في مواضيع فوائد منها : كون السياق القرآني يقتضي ما وقع أو لقصد البدء به والختم به عناية بشأنه »[6] ، كما في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ...﴾ الآية 106 من سورة آل عمران وقد يأتي الغرض من التقديم والتأخير لتفنن في الفصاحة وإخراج الكلام بطرق مختلفة وأساليب متفاوتة وفي قول البارئ سبحانه وتعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ من سورة البقرة الآية 58 ، وفي قوله تعالى أيضا : ﴿ وَقُولُوا حِطّةً وَأدخُلُوا اَلبَابَ سُجَّداً ﴾ الآية

---

[1] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – المرجع السابق صفحة 4/1

[2] المرجع السابق صفحة 4

[3] نادية عبد الرضا الموسوي: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند السيوطي في كتابيه "الإتقان"و"معترك الأقران"دار صفاء للنشر والتوزيع عمّان ص أولى 2014 ص 65

[4] فاضل صلاح السامرائي (التعبير القرآني) دار الكتب للنشر والطباعة جامعة الموصل 1987 – الصفحة 51 .

[5] أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي " معترك الأقران " دار الكتب بيروت – الصفحة 28/1

[6] السيوطي (الإتقان) مرجع سابق – الصفحة 41/03.

161 من سورة الأعراف، وهنا أشار السيوطي إلى أن التعبير بارز في الأسلوب بهدف إخراج الكلام على أساليب مختلفة .

- ثالثا: التقديم والتأخير عند السيوطي

عمل السيوطي على تقسيم التقديم والتأخير إلى قسمين :

القسم الأول : فيه نقل الســيوطــي آثار السلــف وما استشـَهدوا له من آيات الذكر الحكيم ، ومن ذلك ما نقله عن ابن جرير الذي أخرج بدوره عن ابن زيد في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية 83 من سورة النساء ، ففسر السيوطي بقوله : ﴿ هذه الآية مقدمة ومؤخرة إنما هي أذاعوا به إلا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير﴾[1] .

وفي قوله جل جلاله : ﴿ فَضَحِكَت فَبَشَّرْنَاهَا ﴾ الآية 71 من سورة هود علق السيوطي على أنها تقدير بشرناها فضحكت[2] متبعا في ذلك العلماء الدين يرون أن في الآية تقديما وتأخيراً[3] .

وفي قوله جل جلاله : ﴿ فَضَحِكَت فَبَشَّرْنَاهَا ﴾ الآية 71 من سورة هود علق السيوطي على أنها تقدير بشرناها فضحكت[4] متبعا في ذلك العلماء الدين يرون أن في الآية تقديما وتأخيراً[5] .

القسم الثاني : ما جاء خلافاً للأول والذي أستند في إيضاحه السيوطي على سيبويه كونه يقدم الذي بيانه أهم، كما استند كذلك إلى العلامة شمس الدين بن الصائغ في كتابه "المقدِّمة في سر الألفاظ المقدَّمة " أين جمع فيه عشرة أسباب وأسرار وراء التقديم والتأخير فذكرها بإيجاز :

---

[1] الدر المنثور - جلال الدين السيوطي - ج 2 - الصفحة 187
[2] حافظ جلال الدين السيوطي – الإتقان , المرجع السابق – الصفحة 3/ 53
[3] نادية عبد الرضا علي المسوي– الإعجاز البلاغي في القرين . المرجع السابق ، الصفحة 69 .
[4] حافظ جلال الدين السيوطي – الإتقان , المرجع السابق – الصفحة 3/ 53
[5] نادية عبد الرضا علي المسوي – الإعجاز البلاغي في القرآن . المرجع السابق ، الصفحة 69 .

أ / التبرُّك : مثل تقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن مثل قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ الآية 18 من سورة آل عمران .

ب/ التعظيم : في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُطِع الله والرّسُول ﴾ الآية 69 من سورة النساء.

ت/التشريف : مثلا تقديم الذكر على الأنثى في قوله تعالى ﴿ إِنَّ المُسْلِمِينَ والمُسلِمَات ﴾ الآية 35 من سورة الأحزاب .

ث/ المناسبة : وفيها يكون التقديم بمناسبة كسياق الكلامية ، مثال قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الآية 6 من سورة النحل ، يعني: تردّونها بالعشيّ من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوي إليها ولذلك سمي المكان المراح، لأنها تراح إليه عشيا فتأوي إليه، يقال منه: أراح فلان ماشيته فهو يريحها إراحة ، وقوله (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) يقول: وفي وقت إخراجكموها غدوة من مُراحها إلى مسارحها، يقال منه: سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا، إذا أخرجها للرعي غدوة، وسَرحت الماشية: إذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا، فالسرح بالغداة ، والإراحة بالعشيّ .

ج/ الحث : في هذا المقام يكون الحث والحرص على القيام به والحرص من التهاون فيه ، مثل تقديم الوصية على الدين في قوله تعالى ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ الآية 11 من سورة النساء ، مع أن الدين مقدم عليها شرعا .

ح/ السبق : وهو في الزمان باعتبار الإيجاد كتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، وآدم على حواء ونوح على إبراهيم والملائكة على البشر في قوله عز وجل ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيع بَصِيرٌ﴾

من الآية 75 من سورة الحج ، أو باعت الإنزال كقوله تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ الآية

3 و4 من سورة آل عمران ، أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ الآية 77 من سورة الحج

خ/ التقديم : كتقديم (العزيز) على (الحكيم)لأنه تعالى فقد عز فحكم والعليم قدم عليه باعتبار الإحكام والإتقان ناشئ على العلم كما في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾الآية 129 من سورة البقرة.

د/ الكثرة : مثل قوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمن واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ التغابن

ذ/ الترقي: من الأدنى إلى الأعلى: كقوله تعالى ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُم أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَم لهُم أَعْيُن يُبْصِرُونَ بهَا﴾ الآية 195 من سورة الأعراف، فقد بدأ بالأدنى لغرض الترقي ، كون اليد أشرف من الرِّجل والعين أشرف من اليد ،وأخيراً

س / التدلي :من الأعلى إلى الأدنى كقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا﴾ من الآية 49 من سورة الكهف .

رابعا : التشبيه والاستعارة .

أ / **:التشبيه** :لقد صُنِّف التشبيه كفنّ من فنون « التعبير الجميل المؤثر ، تعتمده النفوس البشرية بالفطرة حين يدعوها إلى ذلك بغرض أو أخر من أغراضه التي رصدها البلاغيون القدامى »[1] حيث مثل المراحل الأولى من التصوير الأدبي أد مرَّ بمراحل كثيرة طورته وجعلته من أهم وسائل البيان عند العرب ، وفي كتاب الله تعالى جاءت أشكال مختلفة لصور التشبيه وألوانه بكثرة ، لكنها انفردت بخصائص ميزتها عن التشبه المعروف في الشعر وأوله ، أنه يلقف عناصره من الطبيعة ويعد جزء أساسيا في التعبير القرآني .

[1] أبوا الفتح ضياء الدين نصر الله المعروف بابن كثير – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر –مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1939–ص 1-388

وقد تناول الكثير من العلماء منهم السيوطي في مبحث التشبيه فقال عنه « إنه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأحلاها»[1] ، ولبيان قيمة التشبيه الفنية أورد رأياً للمبرد عن التشبيه وهو في قوله «حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد»[2]، ومن أبحاث السابقين أخذ السيوطي وأضاف ليستنتج حدّ التشبيه، فذكر التشبيه

أ / الحروف : كحرف الكاف نحو " كرماد " ، وكأن نحو" كأنما رؤوس الشياطين "

ب/ الأسماء : مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة .

ج/ الأفعال : نحو قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ الآية 39 من سورة النور ، وقوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ عِصِيُّهُمْ يخَيَّلُ إِلَيْهِمِ نسِحْرِهِمْ أَنَّهَا تسعَىٰ﴾ الآية 66من سورة طه وهنا أشار إلى أنه ربما يذكر فعل شيء عن التشبيه فيؤتي بالتشبيه القريب وغيرها كثير مما يشير إليه فمنها ما يحيل على الظن أو التحقيق ..

ب /الاستعارة :للاستعارة دورها الرسمي في القرآن الكريم ففي تعريفها تعد صورة من صور التعبير القرآني والتي كثر دورها في المصحف الشريف بشكل لافت للنظر ويمكن سر جمالها الفني في «اختيار ألفاظها وحسن تركيبها ومراعاة حسن تشبيهها الذي بنيت عليه ، فألفاظ القرآن موحية صادقة في جعل ا لسامع أو القارئ يحس بالمعنى أكمَل إحساس وأوفاه كما أنها تصوِّر المنظر للعين ، وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محساً، كما أنه يراعي ألفاظ القرآن مع إيحائها بالمراد متناسبة متناسقة مؤلفة مع بعضها ومع معانيها»[3].

وبحث العلماء حصروه في أول الأمر الاستعارة والمجاز وأنواعه، ويتقدم الزمن تطور مفهومها إذ اشترطت العلاقة بالمجاورة، أو بسبب يربط بين طرفيها، وفي هذا مقام العلاقة

---

[1] السيوطي (الإتقان) المرجع السابق صفحة 128/3 .

[2] السيوطي (المعترك)

[3] حنفي محمد شرف .إعجاز القرآن الباني بين النظرية والتطبيق – مطابع الأهرام التجارية

بينهما وبين التشبيه، قال السيوطي « أوَّج المشاعر بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة ، فهي مجاز علاقته المشابهة »[1]

وتنقسم الاستعارة إلى خمسة أقسام:

1 استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس: نحو قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ الآية 12 من سورة القمر، فالمستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب.

2 استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي: نحو قوله تعالى ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار كشف الضوء عن مكان الليل .

3 استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي : نحو قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ من الآية 52 من سورة يس، فإن الرقاد أي النوم مستعار منه والموت مستعار والموت مستعار له والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي.

4 استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي : في قوله تعالى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾من الآية 18 من سورة الأنبياء ، وهنا علق السيوطي « القذف والدمغ مستعاران ، وهما محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان »[2] .

5 استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي أيضا في قوله تعالى :﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الآية 11 من سورة الحاقة ن وهنا علق قائلا: « المستعار منه التكبير وهو عقلي ، والمستعار له كثرة الماء وهو حسي والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضا »[3] لكن الدراسة بقيت تدور حول التشبيه والاستعارة من جوانبهما البلاغية كون أن العلاقة بينهما شبيه بالتكامل .

---

[1] السيوطي – الإتقان : مرجع سابق الصفحة 133-134

[2] السيوطي– المعترك: مرجع سابق الصفحة 210-211

[3] السيوطي – المرجع نفسه : الصفحة 211 .

خامسا : التدبيج .

هو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد التورية بها والكناية ،وأستشهَدَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعمن القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾الآية 27 من سورة فاطر ، وأفاد كذلك من كلام المصري الذي نقل عنه الشاهد القرآني فقال : «المراد بذلك– والله أعلم– الكناية عن الواضح والمشتبه من الطرق، لأن الجادة البيضاء هي الطريقة التي كثر السلوك عليها جدا، وهي أوضح الطرق وأبينها، ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنها في الخفاء والالتباس ضد البياض في الظهور والوضوح، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة، فالطرف الأعلى في الظهور البياض، والطرف الأدنى في الخفاء السواد، والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة، بكل علم نصب منقسمة هذه القسمة، أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك، فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم[1] .

[1] ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعالمصري – بديع القرآن –دار نهضة مصر للنشر, الفجالة, القاهرة,ط2 – الصفحة 212.

التطريز

مفهوم التطريز:

أشـــتـــق الـتطـريـز من الفعل طـــرز الـــعربي الذي يعني بالمصـــطلح الإغـــريقـــي "**Prosida** "، " تطريزة " وهو مصطلح موسيقي يدل أحيانا على (ترنيم أغنية في الموسيقى) "**songsung to music**"أو الدور الغنائي المصاحب**sungaccompaniment**أن التطريزية هي الدور الموسيقي المصاحب للكلمات نفسها[1]

ووظف العروض.الغربي من جهته هذه الدلالات فعرّف التطريز، بأنه مجوع قواعد نظم الشعر التي تعني بكمية المصوتات (في اللغة الإفريقية أو اللغة اللاتينية)[2]، ومن هنا فهو يحيل على مبادئ النظم المشتملة على القوالب الإيقاعية وبنية البيت الشعري.

لكنه استعمل في الأصوات والصوت ما فوق القطعية "**suprasegmental**" ليدل إجمالا على تنويعات في العلو الموسيقي " **pitch** " والارتفاع (القوة) " **loudness** " ودرجة سرعة اللحن " **tempo** "والإيقاع " **rhythm**" وقد أستُعمل أحيانا بشكل غير دقيق مرادفًا لـ: " فوق قطعي " لكن التطريز بالمـــعنـــى الضـــيق يجبل فقط على التنويعات السالفة الذكر، بينما يطلق على بقية الملامح فوق القطعية .

الملامح المصاحبة للغة " **paralinguisticfeatures**" إن هذا المعنى الضيق هو أقرب مفهوم إلى الاستعمال التقليدي لمصطلح " تطريز " حيث يدل على خصائص بنية البيت الشعري وتحليلاتها ومن هنا فإن المصطلح المفضل في الظواهر المصاحبة للغة (**paralinguistic**) أو اللغة الموازية (**paralanguage**)وهو مصطلح استعمل من طرف الصواتة فوق القطعية للإحالة على تغيير النغم الذي تبدوا أقل نسقية من الملامح التطريزية (خاصة التنغيم والنبر).

---

[1] **fosc, (200) prosodicfeatures and prosodic structure P 1.**

[2] **mounim , G (1974) : dictionnaire de la lingustique P 274.**

ويرى دوبو " **dubait** " وشركاؤه في (قاموساللسانيات) أن التطريز هو دراسة الملامح الصوتية التي تخصص متواليات في اللغات المختلفة، هذه الملامح تماثل في متواليات في حدودها تقطيع السلسلة الكلامية إلى فونيمات وتكون هذه الملامح تحتية مثل:المورمات، أو علوية من قبيل المقطع أو مختلف أجزاء الكلمة أو الجملة.

crystal , D, (1964): systems of prosodic and paralinguisticfeature in englishcruttenden , A (1986) (information P 177. 180).

فالتطريز هو إذن جزء من الصواتة كما أن علم الفونيمات" **phonemics** " يشكل كذلك جزء منها لكنه يختص بدراسة الوحدات الفونيمية فقط.

ويحدد تقليديا التطريز في دراسة ثلاث وحدات هي: النبر الديناميكي أو (نبر الطاقة المربوط بزيادة القوة في قذف هواء التنفس أو نقصانها)، ونبر التنغيم أو (نبر العلو المربوط بتردد كبير زائد من أساسه أو ناقص) والمدة أو الكمية المربوطة بالمَسك الطويل الزائد أو الناقص للفونيم.

وبالنسبة لسبانسر(**spencer**): يشكل التطريز مظاهر هامة في التنظيم الصواتي للغة التي تتجاوز كونها مجرد لائحة للفونيمات ولبدائلها المتغيرة وأن ولامحه تتضمن:النبر،التغم،التنغيم، وكثيراً ما يطلق التطريز على النبر والإيقاع بالإضافة إلى التنغيم (رغم أن توظيف هذا المصطلح (ومشتقاته) يشهد تنوعا في معانيه الفنية أيضا[1] .

لكنه بتعبير (**fox**): يلتحم التحامًا قويا في السياقات اللسانية، بمعنى مختلف كما ذكر سلف ويحيل على العديد من خصائص الأقوال مثل النبر والتنغيم في النثر أكثر من الشعر[2] .

ومع كل هذا يصعب الظفر بتخصيص محدد لمجال، ولمسار المعنى اللسانس " للتطريز " كما يصعب ضبطه عبر مصطلحات إضافية مرتبطة به.

---

[1] **duboit , J , et autres (1973) : dictionnaire de languistique P . 398.**

[2] **Spencer , A (1996) , phonology , theory and description , P35, 36.**

الفصل الأول: الملامح التطريـــزية"دراسة نظرية تطبيقية"

- ❖المبحث الأول:السياقات غير المقامية.
- ❖المبحث الثاني: الفاصلة القرآنيــة.
- ❖المبحث الثالث: دراسة تطبيقية للفاصلة القرآنية في بعض آيات
- ❖القرآن الكريم.
- ❖المبحث الرابع: النبر والتنغيم.
- ❖المبحث الخامس: دراسة تطبيقية للنبر والتنغيم على سورة "عبس" المباركة

السياقات غير المقامية:

كان للقرآن الكريم أثر كبير في نشأة كثير من العلوم، وفي مقدمتها التفسير وأسباب النزول والقراءات وإعجاز القرآن.....، وما له صلة بعلوم اللغة والنحو والبلاغة وغيرها، وقد نهلت هذه العلوم من مَعِينِه، وغلب على أكثرها الجانب التطبيقي الوصفي، إذ كانت ترمي إلى فهمه واستنباط أحكامه، وأقتضى ذلك أن تتوفر في أهل الاختصاص الرؤية الشاملة له، تتم فيها مراعاة السياق اللغوي والسياق الحالي ففسروا القرآن بالقرآن وبالسنة وبأسباب النزول، فضلاً عن لغة العرب.

وقد كان هؤلاء العلماء على وعي بمفهوم السياق، فصرحوا به أحياناً ومارسوه أحياناً أخرى من غير تصريح، وعبَّروا عنه بثلاثة مصطلحات رئيسة هي: السياق، المقام والحال[1] .

فما معنى السياق لغة واصطلاحا؟ وكيف نظر إليه العلماء القدماء؟

السياق مأخوذ من: (ساقَ، يسوقُ، سَوقًا، وسياقًا، وتَسَاوَقَتِ، الإبِلُ تساوقًا إذا تتابعتْ، وساقَ إليها الصَّداقَ والمُهر سياقًا وأساقهُ والسياقُ المهرُ، ويسوقُ الهَدْيَ: يقدّمه، وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت، ويقال: فلان في السياق أي في النّزع، كأن روحه تُساقُ لتخرج من بدنه، وفي صفة مشبِّه عليه السلام كان يسوقُ أصحابه، أي يُقدِّمُهُم، ويمشي خلفهم تَواضُعًا[2] .

وسياق الحديث سرده وتتابعه، يقال: «هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مسافة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سَوقه، على سرده»[3] .

---

[1] تناولت الكتب الآتية السياق بتوسع:
- نظرية السياق: دراسة أصولية: نجم الدين قادر الزنكي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427ه، 2006م.
- نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية: المثنى عبد الفتاح محمود، ط1، دار وائل للنشر، عمان الأردن، 1429ه، 2008م.
- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية: عبد المنعم خليل، ط1، دار الوفاء لِدنيا الطباعة والنشر،
الإسكندرية، مصر، 2007م.
- دلالة السياق: ردة الله بن ردة ضيف الطلحي، ط1، مكتبة فهد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1424ه.

[2] ينظر: - لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، مادة(سوق)، مج4، ج24، ص 2153 – 2154.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفار عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399ه – 1979م، مادة (سوق)، ج4، ص 1499-1498.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح، مصطفى حجازي، دط، الكويت،1409ه -1989م، مادة (سوق)، ج25، ص483.
- أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419ه-1998م، مادة (سوق)، ج1، ص 484.

ومن التعريفات الحديثة للسياق تعريفُ محمد فريد وجدي الذي يقول فيه: «ساق الحصان يسوقه سوقًا وسياقةً: حثه على السير من خلفه، وتسوّق القوم: باعوا واشتروا، واستاق الماشية: ساقها من خلفها، وسياق الكلام أسلوبه، وجاءت هذه الكلمة في سياق الكلام أي ضمنه، والسّاق ما بين الكعب والركبة، جمعها سوق وسيقان، والسّاقة: مؤخر الجيش، والسّوقة الرعية لواحد، والجمع المذكر والمؤنث، والسّوقي واحد السّوقيين لأهل السّوق، والسّويق: الخمر والناعم من دقيق الشعير»[1].

وفي المعجم الفلسفي:

«السياق في الفرنسية contexte، وفي الإنجليزية contexte، سياق الكلام: أسلوبه ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وسياق الحوادث processusمجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض ن فإذا جاء الحادث متفقا مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها، وإذا جاء مخالفا، وجب البحث عن علّة هذا الخلاف تقول: سياق المرض وسياق الظواهر النفسية أو الاجتماعية»[2] .

إن التعريفات السابقة تشترك في المعاني والمفاهيم الخاصة بمصطلح السياق، الذي يعني التتابع والتناسق، أي أن المعنى لا يبدو إلا من دراسة سلسلة الكلام وتتابعه، فهو يكشف عن نظام الكلام وتناسقه وترابطه، وهو بذلك يشبه قافلة الإبل التي تسير وفق نظام معين إلى غاية محددة، كما يرتبط السياق بطرفي الكلام، ويسوق المعنى إلى غايته التي هي إيصال غرض المتكلم إلى ذهن المخاطب في أحسن صورة.

وسياق الحديث تتابعه وسرده وتوجيهه نحو الغاية المقصودة، وفق نسق معين، وسياق الكلام هو ما يرمي إليه، ودلالة السياق هي الدلالة المكتسبة من سياق الكلام.

---

[1] دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، دط، دار االفكر، بيروت، لبنان، 1979م، ج، ص 333-334.

[2] المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية: جميل صليبا، دط، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1994م، ج2، ص-681.

لقد تبين لنا من خلال البحث اللغوي ان السياق يدل على التتابع والانتظام في السير، وذلك لبلوغ غاية بيِّنة، ولما كان المفهوم الاصطلاحي مرتبطًا بالمعنى اللغوي، فلابد من أن ينطلق المعنى الاصطلاحي من الأصل اللغوي، لهذا عُرِّفَ السياق تعريفات عديدة من قبل العلماء على اختلاف معارفهم. أمّا عن نظرة العلماء للسياق قديمًا فنبدأها بأول من أشار إليه، وبيَّن أهمية مراعاته بشر بم المعتمر (ت210هـ)، إذ نقل عنه الجاحظ (ت255هـ) قوله: «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضِعَ بأن يكون من معاني العام، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقامٍ من المقال»[1].

ويذهب ابن تيمية إلى الرأي نفسه (ت276هـ) من مراعاة مقتضى الحال، فيرى أنه يجب على الكاتب أن يجعل ألفاظه: «على قدر الكاتب والمكتوب إليه وألاّ يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام»[2].

لقد لقيت هذه الإشارة المحدِّدة لعلاقة المقام والمقال العناية من البلاغيين، وكانت أساسا مهمًا في توجيه البحث البلاغي، فعبروا عن مفهوم السياق الحالي بما يسمى مقتضى الحال، وربطوا بلاغة الكلام بموافقته لمقتضى الحال، وجعلوها أساس البلاغة، وهي التي يجب مراعاتها في الكلام لكي يصبح بليغا يتعدى مرحلة الإفهام، فيوصل المعنى في أحسن حال وفي أجمل صورة.

وهذا ما أوجد ثلاثة مصطلحات متداخلة في البلاغة العربية: المقام، السياق والحال، إذ البليغ هو من يصوغ كلامه مرافقًا لأحوال المخاطبين، والتفنن في تعبيره حسب المقام، فمقام الشكر يختلف عن مقام التهنئة، ومقام الفرح يختلف عن مقام الحزن، ومقام الجِد يختلف عن مقام

---

[1] البيان والتبيين: أبو عثمان بن بحر الجاحظ، تحن عبد السلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417ه-1998م، ج1، ص 136.

[2] أدب الكتاب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح، محمد الدالي، دط، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ص18.

الهزل وهكذا، فالمقامات تختلف حسب الأحوال[1].

كما وظف البلاغيون مفهوم مطابقة الكلام لمقتضى الحال في تفسير بعض الظواهر الأسلوبية مثل: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، وقسموا أنواع الخطاب الخبري على وفق حال المخاطب من حيث الإنكار أو عدمه.

لأن تحليل المعنى على أساس الموافقة بين النص والسياق أو المقام والمقال يعد من أحدث نظريات دراسة اللغة، وهو المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي في الوقت الحاضر[2].

فنظرية النظم مثلا عند القاهر الجرجاني (ت471هـ) قامت على مفهوم السياق اللغوين أي تتابع الألفاظ على نسق معين، وتعالُقِها والتئامها، واللفظ عنده لا يكتسب دلالة وقيمة إلا من السياق الذي يرد فيه، إذ «إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لِتُعرَف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فَيُعرف معانيها في أنفُسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينهما فوائد»[3].

ولقد صرح الجرجاني بمصطلح السياق في أثناء حديثه عن سر إعجاز القرآن الكريم، إذ يرى أن العرب: «أعجزتم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادقوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظةٍ وتنبيه.»[4]

---

[1] ينظر مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف ابن أبي السكاكس، ضبط: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1407ه، 1987م، ص 168- 169.

- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 1413ه- 1993م، ج1، ص11-13، 41-43.

- البيان والتبيين: الجاحظ، ج1، ص116.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان1401ه-1981م ، ج1، ص 199.

- الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1427ه-2006م، ص30.

[2] اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، دط، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص337.

[3] دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بم محمد الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2004م، ص539.

[4] دلائل الإعجاز: المرجع السابق لعبد القاهر الجرجاني، ص39.

وتصريحه بمصطلح السياق في قوله (سياق لفظه) يدل على إدراكه أهمية مراعاة السياق اللغوي في بيان دلالات الألفاظ، ومعرفة إعجاز القرآن الكريم فضلاً عن مراعاة سياق الحال.

ويُعَدُّ استشهاد اللغويين والنحويين والبلاغيين بالقرآن الكريم وكلام العرب شعره ونثره، نوعا من أنواع السياق اللغوي أو الحالي، حيث ربطت المعاني بالسياق الذي قيلت فيه[1].

ونستطيع أن نضع مفهوم عبد الحكيم بن عبد الله القاسم تعريفا اصطلاحيا للسياق حيث يقول: «تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، ويمكن تعرف دلالة السياق بأنّها فهم النص بمراعاة ما قبلهن وما بعده، ويكمن تعريف دلالة السياق في التفسير بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما يخرجها عن السابق واللاحق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له»[2].

أو هو الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، وبواسطته تتصل الجمل فيما بينها وتترابط، مشكلة بيئة لغوية ترعى معنى الكلمة أو الجمل، فلا تُفهم إلاّ بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق[3].

فالسياق إذا هو تتابع المفردات والكلمات والجمل، وانتظامها مع ما قبلها وما بعدها في التراكيب، لتؤدي معنى، معينًا بحسب السياق الوارد فيه.

لقد وضع المفسرون القدماء شروطًا صارمة ودقيقة لمن أراد أن يفسر كلام الله تعالى، منها التمكن من دقائق اللغة العربية وأحكامها الصوتية والتركيبية والدلالية، ومعرفة أوجه الإعجاز القرآني على مستوى النظم واللفظ والدلالة، وما تجري عليه لغة القرآن الكريم من إيجاز وتشبيه واستعارة وتلاؤم الحروف والكلمات والفواصل والمقاطع في الآيات وتجانس الصيغ والألفاظ وتعريف القصص والأحوال، وتضمين الحِكم والأسرار والمـبالغة في الأمر

---

[1] ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دت ،ج3،ص22-228

[2] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط1، الدار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1433ه-2012م، مج1، ص93.

[3] منهج السياق في فهم النص: عبد الرحمن بودرع، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2006م ص27.

والنـــهي، وحسن بيان المقاصد والأغراض، وتمهيد المصالح والأسباب والإخبار عمَّا كان وعما يكون[1].

وغير ذلك مما يدخل في السياق اللغوي وما يتطلبه من استحضار النص القرآني عند تفسيره، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا والسياق يؤكد ارتباط آيات الذكر الحكيم بعضها ببعض: «حتى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني»[2].

وللمفسرين في البحث عن المواد أو المعنى في القرآن الكريم طريقتان وهما: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

فأما التفسير بالمأثور فسنده القرآن والسنة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، حيث يقول ابن تيمية رحمه الله:

«إن اصحّ الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فقد بُسِطَ في موضوع أخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[3].

وإذا تعذّر وجود التفسير في القرآن والسنة النبوية الشريفة نرجع إلى أقوال الصحابة لمعايشتهم مختلف الوقائع والأحوال، ثم اللجوء إلى العلماء والأئمة الأربعة، وحتى الخلفاء الراشدين لما عُرِفَ عنهم من حكمة وعلم»[4]

وعليه فإن القرآن الكريم قد يُفسَّر وعليه فإن القرآن قد يُفسَّر بالقرآن، لأن ما أُجمِل في مكانٍ قد فُصِّل في مكان أخر، أو قد يفسَّر بالسنة النبوية الشريفة لقوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ﴾[الحشر: 7]

ومـما فـسـر بالقرآن، ما فَسَّرَ به الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: 82].

---

[1] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص36.

[2] تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ج1ن ص 121.

[3] مقدمة في التفسير (ضمن الفتاوى): أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تح: حسنين محمد مخلوف، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1386ه ، ج13، ص363.

[4] المصدر نفسه: ج13، ص364.

لما نزلت سأل الصحابة: أيُّنا لم يظلم نفسه؟! ففسره النبي ﷺ بالشرك ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: 13].

وأما التفسير بالرأي فهو: «عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجود دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ...»[1].

وهذا النوع من التفسير مختلف فيهن بين مؤيد ومنكر، وفي ضوء هذا قُسِّمَ إلى جائز ومذموم[2].

لقد حُظيَ السياق بعناية كبيرة من قبل علماء التفسير على وجه الخصوص، وعُدَّ من أهم الوسائل التي تستعمل للكشف عن معاني القرآن الكريم، وإزالة اللبس عن الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، فوردت " لفظة السياق" في عباراتهم منفردة ومقرونة بغيرها، فيقال: " دل سياق الكلام على كذا " و "هذا ما يدل عليه سياق القول وسياقه " و "لابد من مراعاة سياق القول وسياقه ولحاقه " ويقولون " سيق النص لغرض كذا أو لقصد كذا " و "ويرِده السياق" و "يجل عليه مساق الكلام ".

السياق عند ابن كثير (ت 774هـ):

حَفَلَ تفسير ابن كثير بالشواهد التي تدل على استثمار الدلالة السياقية في توجيه المشكل من الآيات، وبيان الراجح من وجوه التفسير، وتضعيف بعض القراءات ومن ذلك:

ـ قال في تفسير قوله تعالى ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:53]، «وكان ذلك بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الأعراف، ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص:43»[3].

وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ [البقرة من الآية 126]: «جعله في تمام دعاء إبراهيم، وهي قراءة شاذة مخالفة للقراء السبعة، وتركيب السياق يأبى معناها، والله أعلم، فإن الضمير في (قال) راجع إلى الله تعالى في قراءة الجمهور، والسياق

---

[1] التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط2، 1396ه-1976م، ج1، ص255.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 255.

[3] تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: مصطفى السيد محمد وحسن عباس قطب وآخرون، ط1، مؤسسة قرطبة الجيزة، مصر، 1421 ه- 2000 م، مج 1، ص 400.

يـقتـضـيه، وعلى هذه القراءة الشاذة يكون الضمير في (قال) عائدا على إبراهيم، وهذا خلاف نظم الكلام»[1].

وهذا دليل على أن مخالفة تركيب السياق ونظم الكـلام كـان موجـوداً في تفسير ابن كثير، وخصوصا في الحكم على القراءة بالشذوذ فكل أنواع التفسير تعتمد على السياق، أي باستقراء النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعضًا، أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير، لأنّهم شاهدوا القرائن والأحوال التي تمثلت أولا في أسباب النزول، كما سيأتي لاحقًا[2].

مما سبق نستنتج أن المفسرين قد تنـبهوا لأهمية السـياق اللـغوي في تفسير القرآن الكريم، وبيان معاني الآيات ودلالاتها شأنهم في ذلك شأن غيرهم من العلماء الذين اعتمدوه وسيلة للكشف عن المعنى.

والسياق اللغوي هو البيئة اللغوية للنص المتكون من مفردات وجمل وعبارات تحلِل وفق مستويات معينة، فالسياق: «هو النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة فسحب، بل والقطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل ـ بوجه من الوجوه ـ كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات»[3]

أي أن النـص يجب أن يحـلل وفـق المسـتويات اللـغوية المـختلـفة: الصـوتية، الصرفية، النحوية، والمعجمية، وكل ذلك من أجل فهم المعنى فهما صحيحاً.

أما السياق القرآني فهو الجو العام الذي وردت فيه الآية، وما يكتنفها من قرائن ودلائل تعين على فهم النص، والكشف عن المراد منه، سواء أكانت هذه القرائن عنصراً من عناصر النص، ويسمى حينئذ السياق الداخلي، أم كانت متمثلة في مجموعة الظروف المكانية أو

---

[1] المصدر نفسه، مج2، ص76.

[2] دلالة السياق في القصص القرآني: محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دط، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن،1425ه-2004 م. ص 107.

[3] دور الكلمة في اللغة: سيفن أولمان، تر: كمال بشر، ط12، دار غريب، القاهرة، مصر، 1997م، ص68.

الزمانية أو الثقافية أو الاجتماعية المحيطة بالنص، وليست عنصراً من عناصره، وتسمى السياق الخارجي، وقد اشتمل القرآن على هاذين النوعين من السياق»[1].

ولم تكن انشغالات القدماء منصبَّة على السياق اللغوي فقط، فمنهم من تتبع سياق الحال، أو ما أُطلق عليه قديما مصطلح " القرائن والأحوال " الذي يتمثل في الظروف المحيطة بالكـــلام، والتي صاحبت نزول الآيات، ومنه يبرز دور أسباب النزول في توضيح الظروف المصاحبة للنزول لأن: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الأثر، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمتسبب»[2] .

فما المقصود بأسباب النزول؟ وهل لها دور في تبيين المعنى الحقيقي، للآيات، وبين جملة من المعطيات والأحداث التي استدعت نزولها، لهذا عرف الزرقاني سبب النزول بأنه: «ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينةً لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ ، أو سؤال وُجِّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتّصِل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، والمراد بقولنا:

(أيام وقوعه) الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدثا عن ذلك السبب، سواء أوقع هذا النزول عقب سبب مباشرة، أم تأخر عنه مدة لحكمة من الحكم»[3]

فمعرفة أسباب النزول طريق إلى معرفة الظروف التي قيلت فيها الآيات المرتبطة بأحداث معينة، وهذا بدوره يعين على فهم المعنى الذي لأجله سيقت تلك الآيات، وهو ما أطلق عليه قديما " قرينة الحال".

---

[1] المعايير النصية في القرآن الكريم: أحمد محمد عبد الراضي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1432ه-2011، ص 200.

[2] ابن تيمية، مقدمة في التفسير، ج13، ص339.

[3] مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تح: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربين بيروت، لبنان، 1415ه- 1995م، ج1، ص 89،90.

ينظر تعريف محمد باقر الحكيم لسبب النزول في كتاب: النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي: وجيه قانصو، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011م، ص367.

ـــــ علوم القرآن: نورالدين عتر، ط1 دار البصائر، القاهرة، مصر، 1433ه ـــــ 2012م، ص46.

ولمعرفة أسباب النزول أهمية خاصة في فهم معاني التنزيل، حيث يقول الزركشي في التاريخانية مبينا خطا من أغفل سبب النزول: «وأخطأ من زعم انه لا طائل تحته، لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك، بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحمّله الصحابة بقرائن تحتفُ بالقضايا»[1] .

بمعنى أن سبب النزول من أهم القرائن التي تعين على توجيه المعنى، لأن السور القرآنية كسورة يوسف، سورة مريم، سورة الكهف.... الخ كانت تنزل لمعالجة قضايا معينة أو تقص حوادث وقعت في زمانه ﷺ ، وتكون سؤالاً عن جواب وُجِّه إليه ﷺ.

ولأجل ذلك أعتنى المفسرون به كثيراً، وعدُّوا معرفته أداة مهمة من أدوات المفسر التي يجب ان يدركها ويكون على إحاطة تامة بها، لكي يتوصل إلى الفهم الصحيح لهذه الآيات، وفي ذلك يقول الشاطبي: «فالجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد النصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع»[2] لأجل الوصول إلى المعنى الصحيح.»[3]

والمتفق عليه أن النص القرآني نزل متفرقًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا، وتعلّقت كل آية بواقعة معينة تحتاج إلى تفسير، والمنهج الصحيح لتفسير هذه النصوص القرآنية هو إعادة ربطها بأسباب التنزيل وفهمها في ضوء خلفية الواقعة التي نُزِّلت بشأنها.

وتجدر الإشارة في هذا الموضع إلى أن أسباب النزول تكافئ أو تعادل ما أصطلح عليه الدلاليين المحدثين بـ " سياق الحال أو سياق المقام "، لأنها تلقي الضوء على الظروف

---

[1] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص22، 23.

[2] الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي الشاطبي: ضبط وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، ط1، دار ابن عفان المملكة العربية السعودية، 1997م، مج4، ص146.

[3] علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت468ه)، أسباب النزول.

ـــــــومن المعاصرين كتاب: أسباب النزول: بسام الجمل، ط1، (منشور) للمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م. واصل هذا الكتاب بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه نوقشت يوم الجمعة 14 مارس 2003م، كلية الآداب بمنوبة، تونس.

والملابسات التي تحيط بالنص القرآني، أي الأحداث والظروف الخارجية التي وقعت فيها الحادثة[1].

لقد نُظر إلى أسباب النزول على أنها طريق لفهم المعاني والدلالات، ولذلك كانت مطلبًا مهمًّا في التفسير، ومن أمثلة ذلك:

ـ قوله تعالى في سورة [البقرة: 158]:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

حيث يُروَى عن عروة أنه قال: «قلت لعائشة زوج النبي ﷺ : أرأيت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، فما أرى على أحد شيئًا ألا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي، لو كانت على ما أوَّلتها

عليه كانت: فلا جُناح عليه ألا يتطوَّف بهما، ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكان من أَهَلَّ لها يتحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة.

فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية: فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾»[2].

ومن الأمثلة التي وردت في كتب التفسير تحريم الخمر الذي مرَّ بمراحل ثلاث، يتدرج الحكم فيها مراعاةً للظروف والعادات التي كانت سائدة آنذاك، حيث كان الخمر مما تعوَّد عليها المجتمع الجاهلي وتوارثه عن الأجداد، لهذا نزل تحريمه على مراحل وذلك في قوله تعالى:

1/: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:219].

---

[1] ينظر:

-مفهوم النص، دراسة علوم القرآن: نصر حامد أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008م، ص111.

- قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج، التأويل، الإعجاز: الهادي الجطلاوي، ط1، كلية الآداب سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس،ديسمبر 1998م، ص 133، و223

- الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق: "مثل من سورة البقرة": خلود العموش، ط1، جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث، الأردن، 1429ه- 2008م، ص 151.

- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني: قطب الريسوني، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1431ه-210م، ص83.

1 لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، تح: محمد محمد تامرن ط2، مكتبة مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1425 ه- 2004م، ص51-52.

2/: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمـــنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: 43]

3/: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:90].

لقد حُرِّم الخمر تدرجاً مراعاة للواقع، فالآية الأولى نزلت في مجتمع نشأ على شربها، وقد حُرِّمت في هذه الآية في أوقات الصلاة: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ وما إن نزلت آية [المائدة:90] حتى حُرِّمَت تحريمًا نهائيًا.

هذه بعض الأمثلة التي أكّدت أهمية أسباب النزول في تفسير آيات القرآن الكريم وإيضاح معانيه، وتقريبها إلى القارئ[1].

إن لأسباب النزول مجالات خاصة بها فهي تدرس تطابق النص اللغوي (الآية أو مجموعة الآيات) مع الوقائع والأسباب الخارجية التي استدعت نزولها، وكانت سببًا فيها، وأسباب النزول جزء من سياق. القول، وهذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النص، يمكن الوصول إليها من داخله، سواء في بنيته الخاصة، أو في علاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام.

وكما يرتبط بأسباب النزول معنى الآية المُنزَّلة يرتبط بها أيضا معرفة المكي والمدني، وبها يتحدد مكان نزول الآية وزمانها.

وعليه فإنَّ معرفة سبب النزول يُعد أحسن طريق لفهم معاني القرآن الكريم بكلماته وجمله وسورهن وكشف الغموض الذي يعتري بعض الآيات في تفسيرها.

إن ما يستخلص من أسباب النزول، هو ضرورة وضع الآيات في سياقها الذي شكلته الوقائع التي أحاطت بها، أو كانت سببا لها، وتشمل: زمن الخطاب وأطراف الخطاب (المخاطِب والمخاطَب)، (الرسول وعلاقته بالمخاطبين)، وسياق التخاطب وأحوال المخاطبين[2].

---

[1] المصدر نفسه ص70.

- صحيح المنقولات في أسباب نزول السور والآيات، فخر الدين بن الزبير علي المحسن، ط1، دار حزم، بيروت، لبنان ،1428ه-2007م.

- الجامع في أسباب نزول: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1431ه-2010م.

- إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن: عطية بن عطية الأجهوري، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1430ه- 2009م.

[2] النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن: محمد عبد الباسط عيد، تقديم: صلاح رزق، ط1، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، 1430ه-2009م، ص88.

وينظر: - الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق " مثل من سورة البقرة": خلود العموش، ص85.

وفي هذا الصدد يشير الطبري في مقدمة تفسيره، إلى أن سياق الخطاب يقتضي الإفهام ،«غير جائز أن يخاطِبَ ـ جلَّ ذِكرُه ـ أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطَبُ، ولا يرسِلَ إلى أحدٍ منهم رسولاً برسالةٍ إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسَلُ إليه؛ لأن المخاطَب والمرسَلَ إليه إنْ لم يفهم ما خوطِبَ به وأرسل به إليه فحالُهُ قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواءٌ؛ إذ لم يُفده الخطابُ والرسالةُ شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً، والله ـ جلَّ ذِكرُهُ ـ يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالةً لا توجب فائدة لِمن خُوطب أو أرسلت إليه؛ لأن ذلك فينا من فِعلِ أهلِ النقص والعبث، والله تعالى عن ذلك مُتَعالٍ».[1]

إن عناصر الخطاب عند الطبري هي: المخاطِب والمخاطَب، وموضوع الخطاب (الرسالة اللغوية)، وهذه الأخيرة تصدر من مخاطِب يراعي المخاطَب، ويسعى إلى إفهامه، وتبليغه بشيء لم يكن ليعلمه، وذلك فيما يأتي:

أ/ المخاطِب: ويعد أهم عناصر الخطاب لما له من دور فعال في عملية الخطاب، فهو الذي يحدد مضمون الخطاب بما يناسب المقام، ويختلف الخطاب تبعًا لاختلاف المـــخاطِب، ويظهر «فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعَلِموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم»[2].

إن المرسل في السياق القرآني متعلق بالمخاطِب الأول الله عز وجل، والمتلقي الأول للرسالة جبريل عليه السلام، والمتلقي الثاني محمد ﷺ ومن جاء بعدهم من البشر إلى يوم الدين، وإن دلالة النص تختلف باختلاف من يُوجَّه إليه الخطاب، فنجد المؤمن والكافر والمُنكِرُ والملحد وغيرهم.

وبالنسبة للنص القرآني «... يوضع في الاعتبار أن المرسل هو الحق سبحانه وتعالى، ويقع وجوده خارج النص في أغلب السياقات، ذلك حين لا يَرِدُ اسم من أسمائه صراحة داخل النص، وأن المُرسَل إليه يكون النبي ﷺ في نطاق محدود أحيانًا، ويكون مجموع المخاطَبين أو المرسل إليهم الذين أُرسِل إليهم الخطاب في ظروف ومناسبات وسياقات معينة بمفهوم واسع»[3].

---

[1] جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري): الطبري، ج1، ص11.

[2] دلائل الإعجاز: عبد القادر الجرجاني، ص43.

[3] دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة الآداب، 1426ه-2005من ص101.

ب/ المخاطَب:

القرآن الكريم قائم على أساس الخطاب الذي يظهر في جلِّ السور المكية والمدنية، وقد عُنِي المفسرون بتحديد المخاطَب وبيان طبيعته، لما له أثر في بيان دلالة النص القرآني، إذ يبدؤون بتحديد المخاطُب، ثم يفسرون الآيات، ويذكرون أثر الخطاب وفاعليته في المخاطَبين، وهذا يعني أن استحضار حال المخاطَب يساعد في تفسير دلالة النص، ويكشف المقصود منه.

وقد يكون المخاطَب غير ظاهر فتختلف الآراء فيه، فيلجأ المفسرون إلى السياق لتحديده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:20].

يقول الطبري عن المخاطَب في قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ «اَختُلِف فيمن عنوا بهذا الخطاب، فقال بعضهم: عُنِي به أمة محمد ﷺ وقال آخرون: عُنِي به قوم موسى عليه السلام ...» [1].

إن في هذا القول دلالة قاطعة على أهمية السياق اللغوي، والسياق الحالي في تفسير الآية القرآنية،

- السياق في هذه الآية قائم على مراعاة عناصر الخطاب: المخاطِب: موسى عليه السلام، المخاطَب: قوم موسى عليه السلام، أو قوم محمد ﷺ، وموضوع الخطاب: الامتنان على بني إسرائيل بالنعم الكثيرة»[2].
- طبيعة المخاطبين كانت سببًا في اختلاف المفسرين في دلالة الآية، والسياق هو الأداة التي احتكم إليها الفريقان لتحديد المخاطبين بدقة متناهية.

ج/ موضوع الخطاب وغرضه:

وهو عنصر مهم في تحديد المعنى الذي يرمي إليه الخطاب القرآني، وكلما كان الخطاب بليغًا، يراعي أحوال المخاطبين كان مؤثراً فيهم، ومنه وجب النظر إلى القرآن الكريم بوصفه نصاً متماسكًا يعالج موضوعات مختلفة حسب حاجة المسلمين إليها، لأن تحديد موضوع الخطاب يساهم في تحديد المعاني وخاصة المختلف منها.

---

[1] جامع البيان عن تأويل القرآن: (تفسير القرآن): الطبري، ج10، ص164-166م.

[2] دلالة السياق في القصص القرآني: محمد بن عبد الله على سيف العبيدي، ص246.

وقد لاحظ العلماء أن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح مميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة، إنما تجتمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذبك سماتها المستقلة وطرائقها المتميزة، ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذه الغاية[1].

ولا يكتمل نظر مفسر القرآن إلا بوضع الخطاب في سياقه المناسب، هذا السياق الذي يتحكم فيه أسلوبان: أسلوب المعرفة بأسباب النزول، وأسلوب معرفة المكي من المدني، حيث يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين الآيات، والواقع الخارجي الذي أدى إلى نزولها، وبالتالي يمكن للمتلقي التفريق بين الخطاب المُنزَّل في مكة، والخطاب المُنَزَّل في المدينة، أي تمييز الخطاب المكي عن الخطاب المدني.

وعليه فإن المفسرين كانوا مدركين لأهمية مراعاة سياق الخطاب في تفسير القرآن الكريم، ويشير علماء القرآن إلى بعض الضوابط التي تميِّز كلاً من الآيات المكية عن الآيات المدنية[2].

- كل سورة فيها سجدة مكية.
- كل سورة فيه (كلا) فهي مكية.
- كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وليس فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾، ومع ذلك كثير من العلماء يرى أنها مكية.
- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى سورة البقرة.
- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة.
- كل سورة تفتتح بحروف التهجي فهي سور مكية سور الزهراوين [3]، واختلفوا في سورة الرعد أما المدني فما تضمن الكلام عن الحدود والفرائض، والإذن بالجهاد وبين أحكامه، والنِّفاق، ولفظ النداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

---

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب، ط11، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1405ه- 1985م، مج1، ج1، ص 28.

3 البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج1، ص188-191.

وينظر: - مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أغسطس(آب)، 1977م، ص181،182.

[3]علوم القرآن الكريم: نور الدين عتر، ص67.

ولتحليل الفروق بين المكي والمدني أقول إن أهل مكة قبل الفتح كانوا كافرين جاحدين بنبوة الرسول ﷺ وكان أهل المدينة مؤمنين به مصدقين برسالته، فأقتضى حال الرسول ﷺ مع أهل مكة، تشجيعه وتثبيته على الدعوة بذكر ما لقيه الأنبياء من قبله من المشقة والعذاب وسوء المعاملة من أقوامهم، الذين أُرسِلُوا إليهم، وكذلك مجادلة المشركين في أمور الوحـــدانية، ونسبة الولد إلى الله تعالى عما يصفون والبعث والنار، والخير والشر.

بينما كان حال أهل المدينة التصديق، وقبول أمور التشريع في العبادات والمعاملات الشخصية.

إن الفرق بين المكي والمدني يكمن في الخطاب، الذي يعتمد أساسًا على المواضيع التي يتناولها كل منهما، ولهذا يختلف أسلوبهما، فالقرآن المكي تميزه الخصائص الآتية[1]:

1- يغلب عليه قصر الآيات والسور، وقوة التعبير وتناسب الإيقاع.
2- كثرة الفواصل القرآنية وقصرها، وتنوعها بما يناسب مع المعاني والمواقف.
3- كثرة أسلوب التأكيد، القَسَم، ضرب الأمثال، التشبيه وتكرار بعض الجمل والكلمات.

[1] نفس المرجع السابق .

الفاصلة القرآنية

تمهيد:

القرآن الكريم كما هو معجز في مضمونه، فهو معجز في أسلوبه ومن أساليب القرآن المعجزة وتراكيبه المبدعة الكلمات التي تختم بها آياته وتسمى فواصل، الفواصل هي جمع فاصلة، والفاصلة القرآنية: هي آخر كلمة في الآية، وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها.

إن التناسق في النص القرآني الكريم، يبلغ الدرجة العليا في إحداث جماليات التصوير النقي والإيقاع الموسيقي أحد ملامح عذا التناسق وهو ناتج عن ملائمة اللفظ مع النسق الخاص الذي ورد فيه، كما أنه يتنوع بتنوع الفواصل، القصير منها والطويل.

ومن دراسة النحاة والعلماء البلاغيين فقد خصوا بظاهرة الإيقاع في الجانب الشعري أكثر من الجانب النثري، وهذا من منطلق أنه دراسة مقطعية لموسيقى الكلمات في السياقات اللـــــفظية، ولهذا فقد ركزنا في بحثنا هذا في الحديث أكثر عن الفاصلة القرآنية كعنصر تعبيري متميز، ومثير قوي للإيقاع.

الفاصلة القرآنية :

أولا / تعريف الفاصلة

أ / لغة: ((المادة (فصل) في اللغة أصل واحد تلتقي عليه الاستخدامات المختلفة لهذه المادة، وهو الفصل بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع الفصل وبين كل فصلين وصل مثل ذلك الحاجز بين الشيئين))

ب/ اصطلاحا: وفيها قدّم العلماء تعريفات متنوعة نذكر منها:

1-**عند السيوطي:** ((هي كلمة آخر الآية)).

2-**الرماني والباقلاني:** ((حروف متشاكلة في المقاطع، يقع فيها إفهام المعاني)) .

وقد نقض عبد الكريم الخطيب هذا القول: ((وعلى هذا فالتعريف الذي عرف به القاضي أبو بكر الفاصلة ليس تعريفًا جامعًا مانعًا كما يقولون إذ أن قوله (يقع بها إفهام المعاني) " يلزم منه أن تكون للفاصلة دلالة مستقلة يتقابل المعاني التي تحمله الآية التي هي فاصلتها، وهذا مالا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية، أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بداتها)).

3-**ابن منظور:** أواخر الآيات من كتاب الله فواصل.

من آراء السابقين نخلص بتعريف اصطلاحي شخصي وهو أن الفاصلة القرآنية غالبًا يتم مقارنتها بالقافية في الشعر والسجع في النثر ليتضح دورها، وتقع في آخر كلمة في الآية أو الجملة والسبب أن الآية الواحدة قد تشتمل على عدة جمل، وليست كلمة آخر الآية فاصلة لها بل الفاصلة آخر جملة في الآية .تبدأ. بعد الآية الجديدة بتمام الآية السابقة لها .

أنظر: المحامي محمد أديب – النسق القرآني – دراسة أسلوبية – رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الأدب .2002م – ص 89. ص 92

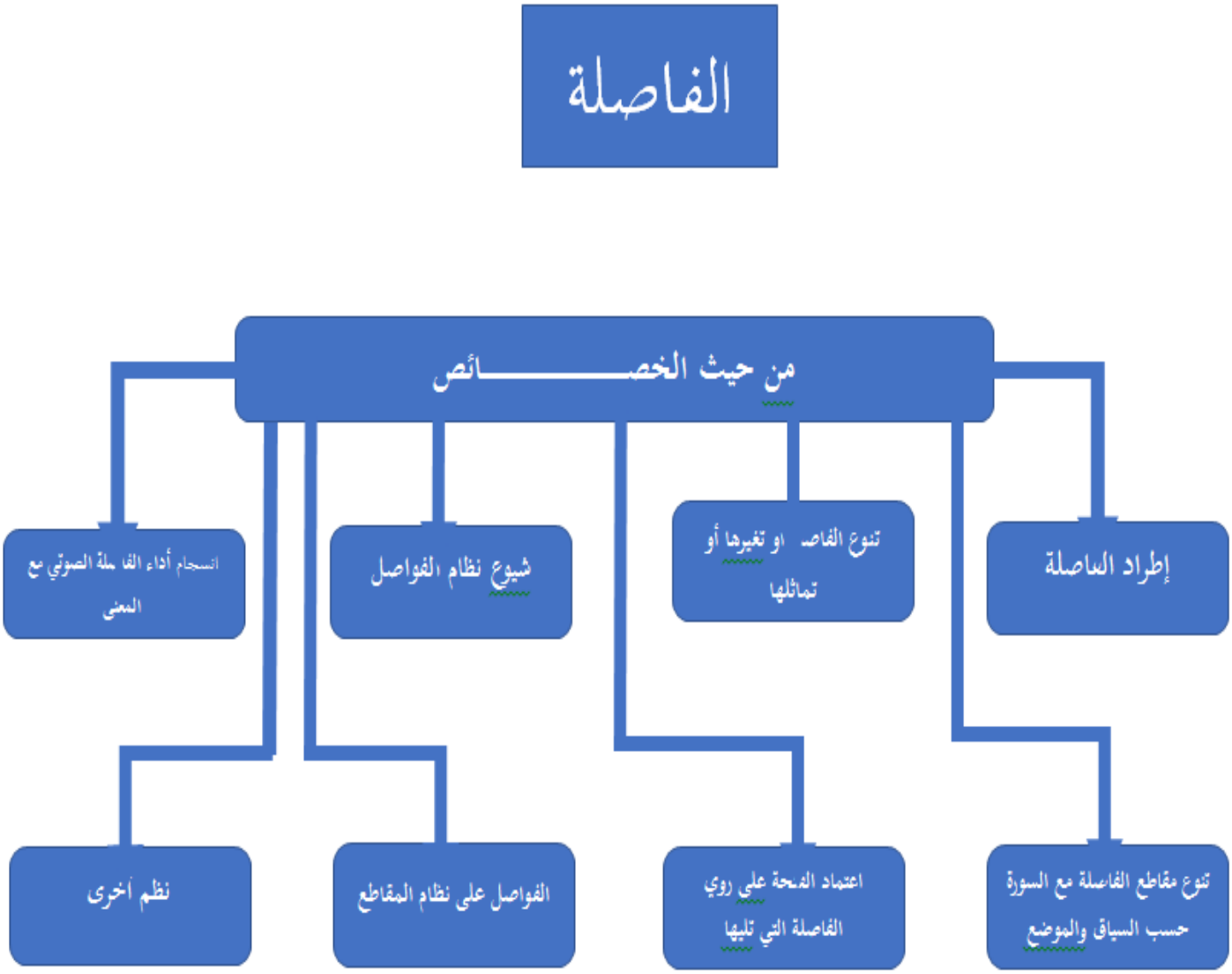

تعليق

يتضح ممّا سبق دراسته من خصائص الفاصلة القرآنية وأنواعها، أنها تقابل الإيقاع في الشعر والإيقاع في النص القرآني الكريم قد تحرر من كل قيد يقيد المعنى، أو يحد من النظام الصوتي، مما أدى إلى حرية التعبير وامتلاك أفاق روحية من التأليف والتلازم والانسجام، والفاصلة من خلال التكرار الإيقاعي بدورها تمثل إيقاع منبعث من النص في تكوينه الصوتي واللفظي وكل مكونات النص القرآني، وللفاصلة دور بارز في الإعجاز القرآني، وذلك بتنوع استعمالاتها، إذ لو حُذِفت لأختل المعنى في الآية، ولو سكنت عينها لاستطاع القارئ والسامع أن يختمه بها انسياقًا مع الطبع الرفيع والدوق السليم

. إن للفاصلة القرآنية دور في كشف جماليات الأداء الصوتي الذي تتميز به تلاوة القرآن الكريم، كما لها دور إيقاعي موسيقي مثل مفتاح اللحن الموسيقي، ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقية، فالقرآن نرى فيه براعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في السورة الواحدة يُسر وسهولة، وتعتبر وجه من وجوه الإعجاز التي يقع بها أحكام بناء الآية شكلاً ومضمونًا ومعنى.

مناسبة الفواصل لآياتها في بعض آيات من سورة مريم المباركة

عند النظر في فواصل سورة مريم نجد أن معظم فواصلها تتماثل بالياء والالف المدية الدّالة على السهولة واليُسر والسلاسة التي تغمر أجزاء مقاطع هذه السورة، بما يتناسب مع معانيها التي تدور حول فصل الله تعالى على مريم وابنها المسيح عليه السلام، كما أن المواضيع التي تقتضي الشدّة والعنف وفيها جو من العناد والاستكبار جاءت فيه الفاصلة على حروف الدال كما في ((إذا، هذا، ضدا)) أو حروف الزاي ((هزا، عزا، أزا)) وفي هذه السورة تنوعت الفاصلة فيما عدا مما سبق بحسب التنوع في السياق والطرح، ويمكن أن نستعرض في دراستنا هذه نماذج تطبيقية على بعض المقاطع في السورة من حيث العلاقة بين الفاصلة والآيات من حيث السياق مدعمين بذلك بكلام بعض العلماء والمفسرين ومن عنوا بهذه المسألة شرحًا وتوضيحا، قال تعالى ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ ربِّ رَضِيًّا (6)﴾ مريم

تتماثل فواصل هذه الآيات بالياء والألف المدية والتي تحمل جواً من اليُسر والسلاسة تتابعا مع جو فيض الله تعالى ونعمه على عبده زكريا بأن رزقه مع كبره ومع كون امرأته عاقراً رزقه بمولوده " يحي ".

يقول سيد قطب: "أمّا الانفعالات في النفس البشرية فتبدأ مع مفتتح الصورة وتنتهي مع ختامها والقصص الرئيسي حافل بهذه الانفعالات في مواقفه العنيفة، العميقة...والظلّ الغالب في الجوهر ظلّ الرحمة والرضى والاتصال وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية وذبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال كما تحسّ انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطقها فطرته"[1].

[1] سيد قطب :في ظلال القرآن،دار الشروق،ط36،2007،القاهرة،ص4.

وبالرجوع إلى الآيات السابقة والتأمل في فواصلها نجد (زكريا) خِتام الآية الثانية، والتي بدأت بامتنان الله ورحمته التي ظللت عبده زكريا، فجاءت الفاصلة لتبين هذه المزية من أنه نادى ربه وأجتهد بالدعاء الخاص فرحمه بهذه المزية والمنقبة، وفي قوله تعالى ﴿إِذْنَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ الآية 3 من سورة مريم.

((لمّا أظهرت الآية دعاء زكريا لربه تعالى جاءت فاصلتها (خَفِيًّا) بوصف الدعاء لأنه اقرب إلى الإخلاص، وجاءت الفاصلة تصوير للآية (نَادَىٰ رَبَّهُ) وهي مناسبة من باب ان النداء الخفي يكون فيه سلوى واطمئنان وأقرب إلى الإخلاص)) [1]، وفيما بعدها، لما قدم زكريا عليه السلام قبل سؤاله أموراً تستحق الشفقة من كبر السن وزوجته عاقر وغيرها جاءت الفاصلة (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا) بالطلب والدعاء ، قدم العلة قبل الطلب رجاء الإجابة .

من مناسبة الفواصل لسورة مريم في السياق

1/ الفواصل الاعتيادية، والتي عليها جل بناء السورة وهي الياء والألف المدية المناسبة في ذلك الأسلوب القصصي التي وردت بها .

2/ فواصل إقرار الحكم ولفت الانتباه للخروج بالفائدة المرجوة من القصة وهذه تمثلت بفاصلة النون أو الميم.

3/ فواصل مثلث جانب العناد والاستكبار ومقابلة ذلك بالشدة والقوة وهذه تمثلت بقافية وفاصلة الدال، والتي جاءت عندما اشتد السياق بالمشركين والكفار، كما كان في سورة مريم بدائع فاصلية.

أ / التقديم والتأخير: تربط هذه الظاهرة بالمعنى البلاغي للسياق وهذا ما يظهر في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ الآية 40 من سورة مريم ، فالتقديم ظاهر لشبه الجملة من الجارّ والمجرور على الفعل، وهو واضح الدلالة في القصر فلا رجوع إلى غيرنا بل إلى الله سبحانه وتعالى الأمر كله من قبل ومن بعد.

---

[1] راجع محمد العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، مرجع سابق (ص 78 – 81)

ب/ التكرار في الفواصل:تعاب هذه الظاهرة في الشعر العربي ولكنها أحسن ما وقعت في كتاب الله تعالى ونقصد به تكرار اللفظة الواحدة لتأكيد المدح أو الذم أو الوعد أو الوعيد كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ الآية 41 من سورة مريم ، وكررت نفس الفاصلة عن الحديث عن إدريس عليهم السلام وعليهم جميعا وذلك لتأكيد مدحهم ووصفهم بالصدق والنبوة تعظيما من شأنهم ورفعًا لقدرهم عليهم الصلاة السلام .

ج/ الالتفات:وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أخر، وقد جاء في السورة نقل الكلام من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ الآية 12 من سورة مريم، وذلك لبيان رعاية الله واهتمامه بشأن يحي ولو كان صبيا، وفي ذلك إشارة لنبوته عليه السلام .

د/ الإظهار في موضع الإضمار: أظهرت الآيات بعض الأسماء في موضع الإضمار لقصد الإهانة والتحقير مثل قوله تعالى:﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ الآية 44 من سورة مريم، أظهره في قوله (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا) زيادة في التنفير منه والتحذير منه ليكون أبلغ .

هـ/ التذييل: هو ان يأتي بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على الأولى لتأكيد منطوقها أو مفهومها في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الآية 36 من سورة مريم ، تدل على تذييل لما قبلها من الأمر بالعبادة والتوحيد.

الظواهر البلاغية الأسلوبية في الفواصل القرآنية:

تتميز اللغة العربية بأساليب متعددة، ولكل من هذه الأساليب طريقة وأغراض وأدوات خاصة، كأسلوب الشرط، والتعجب، والمدح، والذم وغيرها، وسأخص بالدراسة أسلوبا الاستفهام والتوكيد، لكثرة دورانهما في السور المدروسة، ولصلتهما بمقتضى الحال (السياق) وحال المخاطبين والسامعين، محاولةً إبراز خصائصهما الأسلوبية، ودورهما في الفواصل القرآنية من حيث القوة التعبيرية، وتميز أسلوب النص القرآني عن غيره من الأساليب.

– أولاً: وهو أحد الأساليب الطلبية التي تدخل في علم المعاني[1].

وفي اللغة: هو طلب الفهم ومعرفة الشيء المجهول، ويقال: فهمت الشيء: عقلته وعرفته وأفهمته الأمر، وفهمه إياه، جعله يفهمه، واستفهامه سأله أن يفهمه وقد استفهمي، فأفهمته وفهمته تفهيمًا[2].

أمّا اصطلاحًا: هو استخبارٌ: والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبر أو يفهم عن شيء لم يكن معلومًا بأداة خاصة[3].

أو هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة مخصوصة[4].

وأدوات الاستفهام كثيرة منها: هل، ما، مَنْ، أيْ، كَمْ، كَيْفَ، أَيْنَ، أنَّى، مَتَى، أَيَّانَ.

وأضاف ابن جني حرفين وهما: "أَمْ" وله فيها موضعين:[5].

– الاستفهام على معنى "أي" كقولك: أَزيد عندك أم عمرو؟ ومعناه: أيهما عندك.

– أن تقع منقطعة على معنى "بل" كقولك: هل عندك زيد أم عمرو؟ ومعناه: بل عندك عمرو، تركت السؤال عن الأول وسألت عن الثاني.

---

[1] فصل في هذا الأسلوب كُتَّاب كُثُر نذكر على سبيل المثال:
أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: غرضه، إعرابه: عبد الكريم محمود يوسف، ط1، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا:1421ه- 2000م.

[2] لسان العرب: ابن منظور، مادة (فهم) ج 39، ص 348.

[3] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 140.

[4] مفتاح العلوم: السكاكي: ص 303.

[5] اللمع في اللغة العربية: ابن جني، ص 71، 72.

والحرف الثاني: "أي حين " بمعنى "متى"[1].

والاستفهام في الـــــقرآن الكريم له أغراض بلاغية تُفهَم وتُدرَك من خلال الســـياق: كالتـقرير، والإنكار الوعيد، التهديد، الإهانة، التحقير، التهكم، السخرية، الأمر، النهي، التعجب.

1 – الهمزة: يجمع المفسرون على أن الهمزة هي أمُّ هذا الأسلوب، وقد وضعت له أصـــلاً، يقول الأخفش في ذلك: «وإنما الاستفهام في الأصل الألِف[2]» ، وهي: أصل أدوات الاستفهام عند المرادي[3].

وخُصَّت بأمور لم تعرفها بقية الأدوات منها:

تمام التصدير بتقديمه على "الفاء" و "ثم " في نحو: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:44]،﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾[يوسف: 109]، وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنهما من الجملة المعطوفة لكن راعوا أصالة الهمزة في استحقاق التصدير، فقدمت بخلاف "هل" وسائر أدوات الاستفهام[4].

وقد ترد همزة الاستفهام لمعاني أخرين بحسب المقام من: تقرير، وإنكار، وتهديد ووعيد وإهانة، وتحقير، وتهكم، وسخرية، وأمر، ونهي، وتعجب، وتنبيه، والأصل في جميع ذلك الاستفهام[5].

---

[1] اللمع في العربية: ابن جني 150 / وينظر: - اسرار العربية: أبو البركات الأنباري، ص 385.

[2] معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: تح: هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،1411ه- 1990م، ص8.

[3] الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1413ه- 1992م، ص31.

[4] الجنى الدائم في حروف المعاني: المرادي، ص31. // وينظر:- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري: ج1، ص38، 86.

[5] ينظر: الجنى الداني في عروف المعاني: المرادي ص 32 – 34 .
معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الروماني: تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة جدة ، المملكة العربية السعودية، 1401ه-1981م. ص32-34.
- رصف المباني في شرح المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سوريا دت، ص 44- 53.

ومن الآيات التي حوت هذه الأداة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء: 61].

فكلمة" أَأَسْجُدُ" استفهام إنكاري غرضه التهكم وإنكار السجود لآدم عليه السلام.

وهذا حال الرسل جميعًا مع أقوامهم من الكبر والحسد على ما اوتوا من فضل الله، وهما السببان اللذان حملا إبليس على الكفر والخروج من الأيمان، وعدم طاعة الله تعالى والسجود لآدم عليه السلام عندما أُمِر بذلك [1]، وحجته: أنه من طين أي أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينًا،[2]بمعنى «أنَّ أَصْلِي أشرف من أَصْلِه، فوجب أن أكون أشرف منه، والأشرف لا يخدم الأدنى»[3].

لقد جاء الاستفهام هنا بحرف الهمزة كما يظهر في كلمة "أأسجد" ففاصلة الآية: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ وكلمة " أأسجد" ناسبت المعنى، وناسبت السياق الواردة فيه، وناسبت حال إبليس وتعنته وتعجبه عندما أُمِرَ بالسجود لآدم عليه السلام

2- **هل:** «حرف استفهام تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق المُوجب لا غيره»[4].

كقولنا: هل خرج زيد؟، هل هنا للاستفهام وقد تخرج لأمور أخرى[5].

وقد تكون بمعنى "قد " [6]نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾[الإنسان: 1]، معناه: قد أتى على الإنسان.

- حروف المعاني : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: تح: علي توفيق الحمد، ط2، دار الأمل، إربد، الأردن 1406ه-1986مص

[1] التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، ج15. ص 149.

[2] الكشاف: الزمخشري، ج3، ص 529

[3] اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419ه-1998م، ج12، ص 324.

[4] الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، ص341.

[5] فصل في معاني "هل" ابن هشام في كتابه نقطتين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج4، ص 326 – 345.وينظر: - مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، دار المعارف، مصر، دت، ج12، ص588.

[6] ينظر: - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ص407.

ومن الآيات التي حوت حرف الاستفهام "هل" نجد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[يونس: 52].

فاصلة الآية: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، تضمنت الحرف "هل"، الذي أدى معنى التوبيخ.

إن خزنة جهنم يقولون لهم: ذوقوا عذاب الخلد الذي لا ينقطع، جزاء كفركم عندما «وضعوا ما نُهوا عنه من الكفر والتكذيب موضع ما أُمِروا به من الأيمان والتصديق، أو ظَلَموا أنفسهم بتعريضها للهلاك والعذاب[1]» .

ثانيًا: أسلوب التوكيد.

من الأساليب الإنشائية النّي كَثُرَ دورها في القرآن الكريم، ولقي عناية خاصة من قبل" العلماء والباحثين"[2] على حدٍّ سواء، لما له من علاقة وطيدة بالقرآن الكريم، المعجِّز بألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

والمراد به :

لغة: مأخوذ من الفعل أَكَّدَ، والكاف والدال ليست أصلاً، لأن الهمزة مبدلة من واو، ويقال وكَّدَةَ العَقْدَ [3] أي أَكَّدَ العَهْدَ والعَقْدَ[4].

اصطلاحًا: هو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره[5].

وأُطلق على التوكيد مصطلحات عديدة، فقد ذكره ابن جني مع مصطلح: "الاحتياط" الذي في معنى التوكيد، ومصطلح "التكرير" حيث يقول: «اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى واحتاطت

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ج11، ص 135.

[2] ينظر على سبيل المثال:// أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم: دراسة تحليلية لنموذجين (الاشتغال طبيعته وإعرابه – التوكيد ب (إن النافية) : أحمد مختار البرزة، ط1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان 1985م

- أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطردي، ط1، دار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، 1986م.

- رسالة دكتوراه: بعنوان دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم: عائشة عبيزة، جامع الحاج لخضر باتنة. الجزائر ، م2008-2009م

[3] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، ج1، ص 125.

[4] لسان العرب: ابن منظور، مادة (أكّد)، ج2، ص 100.

[5] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحي بن حمزة العلوي، ج2، ص 176.

له فمن ذلك التوكيد، وعلى ضربين أحدهم: كرير الأولى بلفظه، وهو نحو قولك: قام يـــزيــد، قام زيد، وضربت زيداً ضربت، وقد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر....، والثاني: نحو قولك: قام زيد نفسه ورأيته نفسه»[1].

وأطلق عليه السكاكي مصطلح "التصريح"[2]. ومصطلح "التقرير والتأكيد"[3].

وهناك صور للتوكيد بغير أداة:

التوكيد بالتقديم: العرب إذا خصوا شيئا باهتمامهم قدموه ليفاجئوا المخاطب به، ليقع في نفوسهم موقعاً ثابتاً [4] كقوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: 5]قُدِّمَ المفعول في الآية الكريمة لقصر العبادة لله تعالى وحده

التوكيد بالتكرار: وله طريقان:

إعادة اللفظ الذي يراد تثبيته نحو: ضربت زيدًازيدًا.

والمتتبع لهذا الفن الأسلوبي في القرآن الكريم، يدرك حقًّا كثرة وروده، وتزاحم أدواته في الآية الواحدة لتمنحها مزيدًا من التوثيق والتأكيد وتبليغ المعنى وتأثيره في النفوس.

ومن هذه الأدوات "إنَّ" التي تُعَدُّ أصل أدوات التوكيد ولها معاني تُستفاد منها غير التأكيد.

وتتكون من وجهين: حرف "توكيد"[5] تنصب الاسم وترفع الخبر[6]. والثاني: حرف جواب بمعنى نعم [7]

ومثال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: 111].

ذُكِر في هذه الآية سبعة أنواع من التوكيدات لقول الرازي في تفسيره: «أولها كلمة "إن" وهي للتأكيد، وثانيهما: كلمة "كل" وهي أيضًا للتأكيد وثالثهما: اللام الداخلة على خبر "إن" وهي

---

[1] الخصائص: ابن جنى، ج3، ص101- 104.
[2] مفتاح العلوم: السكاكي، ص 171.
[3] المصدر نفسه: ص 267.
[4] في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1406ه – 1986، ص 242.
[5] ينظر – رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ص 118.
- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، ص 393.
[6] ينظر: معاني الحروف: الرومانية، ص110.
[7] ينظر – رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ص 124.

تفيد التأكيد ايضًا، ورابعها حرف "ما" إذ جعلناه على قول الفراء موصولا، وخامسها: القسم المضمن فإن تقدير الكلام وإن جميع والله ليوفينهم، وسادسها: اللام الثانية الداخل على جواب القسم، وسابعها: النون المؤكدة في قوله الربوبية والعبودية

لا يتم إلا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والنشر، ثم أردفه بقوله ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وهو من أعظم المؤكدات»[1].

وقُرِأَت هذه الآية بقراءات كثيرة، وحاول كل مفسر تفسير حروف التوكيد الموجودة فيها من وجهة نظرة خاصة[2].

ومعنى الآية يؤكد أن الجميع مجازون بحسب أعمالهم، لا يفلت منهم أحد، فمن كان عمله صالحًا ومن أجل تأكيد مصيرهم استخدمت فاصلة الآية: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾، حرف التوكيد "إنَّ المشددة" تأكيدًا على أن مآل الكافرين ومصيرهم هو النار، لقوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[لقمان: 24].

فانظر إلى سُمُوِّ هذا التعبير ورفعته وكيف لحرفٍ بسيط "أنَّ" أن يؤكد هذا المعنى، فالفاصلة تراعي المعنى، وتراعي السياق في استعمال الحروف والكلمات المناسبة.

وثاني الأدوات "نونا التوكيد":

ونعني بهما نون التوكيد الثقيلة المشددة المفتوحة/ ونون التوكيد الخفيفة الساكنة غير المشددة[3].

وتزداد للتوكيد في الأفعال خفيفة وثقيلة في نحو " لتقومنَّ" و "لتقعدنَّ" [4] لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَد راوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ يُسْجَنَن لَيَكُونًا منَ الصَّاغِرِينَ﴾[يوسف: 32].

---

[1] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، ج18، ص71.
[2] ينظر: - تفسير البغوي "معالم التنزيل": البغوي، ج4، ص 202-203.
[3] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، ج4، ص 397.
[4] ينظر : سر صناعة الإعراب: ابن جنى، ص 447.

تُلقي امرأة العزيز في هذه الآية اللوم على نسوة المدينة، عندما سمعن بشغفها الشديد لخادمها الكنعاني يوسف ﷺ ، فأعدّت لهن متَّكئًا فقطّعن أيديهن بمجرد رؤيته، لِمَا يتميز به، وكأنه القمر ليلة تمامه، ثم أقَرَّت لهن بعد ذلك بأنها قد راودته عن نفسه، فأستعصم ولم يراودها فيما أرادت، ولم يطاوعها في حاجتها، فكان مصيره السجن، ليصبح من أهل الصِّغار والذِّلة، بعدما كان في مكانة مرموقة وعالية عندها وعند زوجها[1].

إن المتمعِن في فاصلة الآية: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يلحظ اجتماع نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة، لتؤكد عزم امرأة العزيز على سجنه لعدم مراودته إياها و «أكدت السجنَّ بالنون الثقيلة لتحققه، وما بعده بالنون الخفيفة لأنه غير متحقق»[2] في كلمة "ليكون".

ولو قِيلَتْ هذه الكلمة "ليسجنن" دون "النون الثقيلة" لتبادر إلى الأذهان أن امرأة العزيز ربما تتراجع عن أمرها ولا تسجن يوسف ﷺ لحبها الشديد له ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30]، ولكنها أكدت الأمر وجزمت عليه ولا مجال للرجوع فالنون «المشددة أبلغ في التأكيد من المخففة، لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد»[3].

فَنَوْنَا التوكيد "الثقيلة والخفيفة" أكدتا الاضطراب الحاصل في نفسية امرأة العزيز، وأكدتا الترابط الموجود بين مفردات الآية الواحدة، وأثبتا جورهما في المعنى من خلال السياق القرآني الذي وُضِعت فيه.

وخاتمة القول:

إن هذا التنوع في مبنى الفواصل القرآنية، راجِعٌ إلى النظم القرآني وللملائمة والاتساق بين المعنى والسياق الواردة فيه، فالفاصلة «تَرِد وهي تحمل شُحنتين في آن واحد: شحنة من الوقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية»[4].

ومنه فإن للفاصلة وظيفتين: وظيفة دلالية، ووظيفة صوتية، لا تُختار الألفاظ على حساب المعاني، ولا تُختار المعاني على حساب الألفاظ، وغالبًا ما يكون الصوت منسجمًا مع التركيب الصوتي للكلمة بُغية الوصول .

---

[1] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري ج13، ص 141-142.
[2] روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: الألوسي، ج12، ص 234.
[3] شرح المفصل: ابن يعيش، ج9، ص 37.
[4] التعبير الفني في القرآن: بكري شيخ أمين، ص 209.

فالأصوات تنسجم في الفواصل القرآنية لِما تتسم به من قوة من حيث الجرس وحسن الإيقاع، ففي غير القرآن الكريم تُستثقل بعض الحروف عندما تجتمع في كلمة واحدة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[يوسف: 32]

النبر

تمهيد:

إن قضية النبر في اللغة العربية من القضايا الشائكة التي بحث فيها اللغويين، فالمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا ولَّد ظاهرة لغوية في جميع اللغات.

وللعرب في الدرس الصوتي خاصة جهود بالغة الأثر في ظاهرة النبر استلهموا منها اللغويين علاقة لتراكيب المعاني بين المقاطع والتراكيب المختلفة للجملة، وفي مبحثنا هذا أشرنا إلى بعض منها علَّنا نقدم للباحث اللغوي ما استقصيناه من مفهوم النبر ووجوده عند النحويين ، ومدى ارتباطه بالدلالة والمعنى ، ولا يزال المجال فيه خصبا للبحث والدراسة لمن يتأمل .

أولا : مفهوم النبر

تكاد تتفق الدراسات الحديثة أن النبر بالمفهوم الذي يُعرف اليوم هو ذاته الهمز عند القدامى ، لهذا استهلنا ذكرنا بالمفهوم

النير غير مقصرين ولا مطيلين في ذلك .

أ / النبر لغة :

((الهمز مثل الغمز والضغط ، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط وقد همزت الحرف فإنهمز)) [1]

والبارز من هذه العبارة أن "الهمز في الكـــلام " فهو لا يقع صـــوت بعينه ، إنما في الكـــــلام ، فكل الأصوات مؤهلة لتحقيق الهمز عليها

وفي ذكر ابن منظور في مادة " نبر" ((النبر بالكلام الهمز ، والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبراً همزه)) [2]

أهم ما نخلص إليه من هذا المفهوم اللغوي أن النبر يساوي الهمز ويساوي القطع

ب/ النبر اصطلاحا :

عني التعريف الاصطلاحي للنبر باهتمام العديد من علماء اللغة والنحو ونذكر منهم تعريف إبراهيم أنيس بقوله ((فلعلهم أرادوا به تلك العملية النطقية التي مصدرها الحنجرة حين تتوتر

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، مادة "همز" ، دار صادر بيروت ط 12

[2] المصدر نفسه –مادة " نبر "

عضلاتها توتراً شديدا وهذه هي الظاهرة التي يمكن أن يطلق عليها التهميز (**glottalisation**) أي إيثار الهمز في كثير من الكلمات)) [1]

في هذا التعريف نسب إبراهيم أنيس هذا الأمر للقدامى وأصدر حكما بعده أن هذه الظاهرة هي إثارة الهمزة أو التهميز ، وهذا التهميز هو التوتر وهو ما نستعمله بلفظ "النبر" كما أشار " تمام حسان " كذلك في مواطن أخرى إلى موضوع النبر بقوله : ((المرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ، ليجعله بارزاً أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة ، وهو الضغط هو الذي نسميه بالنبر)) [2]

وهنا يتضح أن الضغط من شيم الكلام لغاية الوضوح ، وهذا ما سلمنا به دراسته للنبر عند القدامى وإيضاحه بالضغط ، وفي مداخلات أخرى له أبرز فصول للنبر فصَّل فيها أن النبر له مواقع صوتية في مقاطع الكلام لم نتطرق إلى التفصيل فيها في بحثنا هذا .

ثانيا / ماهية النبر :

النبر (**accent**) لعلماء اللغة المحدثين تعريفات أخرى وعديدة للنبر تتفق جميعها على أنه الضغط على مقطع معين يكسبه الوضوح السمعي عن المقاطع الأخرى ، وهذه تعريفات أخرى لبعض الباحثين في هذه الظاهرة ((إعطاء مزيد من الضغط أو العلو لمقطع من بين مقاطع متتالية)) [3]، وفي تعريف أخر ((بدل طاقة معينة عند أداء الصوت أو المقطع من طرف أعضاء النطق)) [4]، وعند تمام حسان فيقول : ((الكلمات التي نتكلمها من أصوات متتابعة ينزلق كل تتابع منها من سابقة ، وليست هذه الأصوات بنفس القوة ، وإنما تتفاوت قوة وضعف بحسب الموقع وكرر صوت من أصوات في كلمة أقوى من بقيتها يسمى النبر)) [5]، ((فالضغط الذي يصاحب عملية النبر عامل مســاعد من بين مجموعة عواما أخــرى ، لكنه يبقى الأقرب لأن النبر في حدِّ ذاته يعرف بدرجة الضغط على الصوت أكثر

---

[1] إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (دط) (دت)
[2] المرجع نفسه ، الأصوات اللغوية ص 170
[3] ماريو باي ،أسس علم اللغة، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب بالقاهرة الطبعة الثانية 1983 ص93 .
[4] كمال محمد بشير ، علم اللغة العام . الأصوات . دار الفكر – القاهرة .د ط . 1970م – ص 210 .
[5] تمام حسان . مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، دار الثقافة ط 19742 – ص 186.

ما يعرف باي شيء أخر ولأن الضغط في صورتيه: صورة الضغط وصورة النغمة يتسع مجال تطبيقه على النبر أكثر مما يتّسع مجال العوامل الأخرى))[1]

والنبر في مفهوم أخر عند تمام حسان يقول ((والنبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة المثال ، فنحن إذا تأملنا كلمة (فاعل) نجد أن الفاء أوضح أصواتها لوقوع النبر عليها وباعتبار هذه الصيغة ميزان صرفيا نجد أن كل ما جاء على مثاله يقع عليه النبر بنفس الطريقة مثل (قاتل ، جالس))[2]

وهناك نبر أخر يتعلق بالسياق عند تمام حسان يقول ((هذا النبر في التشكيل الصوتي)) [3]

وفي مخارج الحروف والنطق تعريف يقول : ((كل مرتفع من شيء والورم ووسط النقرة في ظاهر الشفة والهمزة ورفع الصوت حين النطق بالكلمة وقد يكون بالاعتماد على حرف من حروفها وباختلاف موضع النبر من الكلمة تتميز اللهجات)) [4]

الواضح مما سبق أن ظاهرة النبر دُرِست في قوالب مختلفة ومتنوعة ووُجدت في أغلب مجالات اللغة العربية ومن ثمة حددت السياقات وكان لمخارج الأصوات تفسير اخر لظاهرة النبر ، والمتأمل في قائمة تعريفاته يتيقن من حقيقة ذلك ، لكن يبقى الأصل الأول لهذه الظاهرة اللغوية بأنها ذات أثر بليغ على التراكيب اللغوية للجمل

حقيقة وجود النبر في اللغة العربية الفصحى

((يرى الدارسون العرب المعاصرون أن العرب القدامى لم يهتموا بهذا النوع مـــن الـــدراسة، وأن اللغة العربية غير منبورة))[5] .

---

[1] تمام حسن . مناهج البحث في اللغة (مرجع سابق) ص 160 .

[2] المرجع نفسه – نفس الصفحة

[3] إبراهيم مصطفى – المعجم الوسيط .ت ح . مجمع اللغة العربية – دار الدعوة ج 2 – ص 897

[4] المصدر السابق , ج 2 , ص 897

[5] كهنري فليش في كتابه "العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد"، ترجمة: د/عبد الصّبور شاهين، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، د ط ، د ت ، ص 49

مع أن العربي شديد الحرص على بيان مقاصده الكلامية وأغراضه النطقية وهذا لا يتحقق إلا باستخدام هذا الملمح التمييزي فيضغط على بعض أجزاء كلامه للبيان والتوضيح ، ثم إن النبر يعزه من فِعل المتكلم لا من فِعل السامع[1].

والمتأمل يجد أن مصطلح النبر تردد في موروثنا اللغوي لكن بمعنى الهمز في الكلام .

قال الزمخشري : ((النَّبْر : الهَمْز, وكان من العرب من ينبر , و منه ما روي : إن رجلا قال : يا نبئ الله . فقال : إنَّا معشر قريش لا نَنْبِرُ , وروى : إن رجلا قال : يا نبئ الله . فقال : لا تَنْبِر باسمي فإنما أنا نبيُّ الله)) [2].

((وسمي منبر لارتفاعه من النبر وهو الارتفاع)) [3].

قال الجوهري : ((نبرت الشيء أنبره نبراً ورفعته ومنه سمي المنبر)) [4]

((أمّا الفلاسفة المسلمون فقد كان لهم باع في هذا المجال إذ نجد أنّهم مسّوا هذا المجال مسّاً علميّاً حديثاً في بعض جنباته، وإن لم ترق دراستهم في هذا الباب تلك الّتي ألفيناها في المقطع , فها هو الفارابي يعرض للنّبرة في الكلام في أكثر من موضع من كتابه مقيّداً إيّاها بالزّمن، مقرّراً أنّ مدى نغمتها لا يتجاوز زمن إحداث وتد، يقول في ذلك: "النّبرات نغم قصار، أطول مدّاتها في مثل زمان النّطق بوتد)).[5]

((ومن نصوصه أيضاً التي تقرّب من خلالها أكثر إلى روح معطيات الدّرس الصّوتي الحديث قوله: متى توالت متحرّكات كثيرة وتناهت إلى متحرّك ووقف عليه فإنّه ربّما جعل المتحرّك الأخير ممدوداً أو مقروناً بنبرة)) [6]فالنّبر يبلغ مداه على حدّ قوله مع الحركة الطّويلة، وهو ما تقرّه الدراسات العلمية الحديثة

---

[1] الفرابي ، الموسيقي الكبير .تح : غطاس عبد الملك – خشبة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة –د.ط ، د.ت ص 1084

[2] المصدر السابق , ج 3 , ص 401

[3] النووي ، أبو يحي زكريا بن شرف بن مري ، المنهاج – شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي بيروت ط 2 . 1392 ه .ج6. ص 134

[4] الجوهري ,إسماعيلبن حماد, الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية,تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار,دار العلم للملايين – بيروت,ط4 1407 هـ - 1987 م ,ج 2,ص 821

[5] الفرابي،المسيقيالكبير،مصدرسابق،ن ص.

[6] المصدر السابق ، ص: 1085

كما نجد أن النحاة واللغويون قد وافقوا في عدِّ الهمز المصطلح المرادف للنبر ، إذ يقولون : ((إمّا الهمز والنّبر فيجعل افتتاح كلّ واحدٍ من المصوّتات الإثني عشر , والأجود أن تجعل افتتاحات الألف والممزوجات الّتي تميل إلى الألف، وإن جعلت افتتاحاً لحرف الياء، وما مال إليه من الممزوجات، أو المتوسّطات بين الياء والألف لم يبشّع به مسموع النّغمة، ومتى جعلت افتتاحاً للواو والممزوجات المائلة إليها أكسبت النّغم بشاعة المسموع))[1].

((ويرى القاضي عبد الجبّار – من المعتزلة – أنّ "النّبرة رفع الصّوت عن خفضٍ")) [2]،

((وقد ربط النّغم بصفاء المخارج لقوله: "أمّا النّغم فهي نفس الحروف، ويكون من بعض النّاس أحسن لصفاء مخارجه))[3]

أي أن النبر عنده هو علو يلحق صوتا ما، فزيده نصاعته وبيانا دون غيره من الأصوات الأخرى ، داخل التركيب الواحد ، ويعود ذلك كله إلى شدة الصوت التي تدعوا إلى الزيادة في أصواته وبالتالي الزيادة أصواته.

((أمّا ابن سينا فهو أكثر من بلور المفهوم الاصطلاحي للنّبر، ولا سيما بعد أن تعرّض للزينة في الكلام، فالكلام عند ابن سينا يتشكّل من الحروف، وممّا يقترن به من هيئة ونغمة ونبرة))[4].

أهم قواعد النبر في اللغة العربية :

– كل كلمة أحادية المقطع، تكون منبورة على مقطعها الوحيد , مثل "قم" .

– كل كلمة ثنائية المقطع، تكون منبورة على مقطعها الثاني مهما كان نوعه , مثل "قام".

– كل كلمة ثلاثية المقطع، تكون منبورة على مقطعها الثاني إذا كان متوسطاً، أو طويلاً نحو أعانت، أما إذا كان المقطع الثاني قصيراً، فإن النبر يقع على المقطع الثالث أياً كان

---

[1] المصدر السابق ، ص: 1120 ، ص: 1117 و 1118

[2] الزبيدي أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني . تاج العروس من جواهر القاموس ن تح= مجموعة من المحققين – دار الهداية ج 14 ص 164 مادة (نبر)

[3] أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار , المغني في أبواب الّتوحيد والعدل، خلق القرآن، قوم نصه إبراهيم الأبياري، بإشراف د/طه حسين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر , د ط , د ت , ج : 7 , ص 206

[4] ابن سينا، الشفاء (فنّ الشّعر) تحقيق: جورج قنواتي، وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975 ص: 67

نوعه نحو ناصر، وكذلك الحال في الكلمات الكثيرة المقاطع، والنبر في كل الأحوال لا يتعدى المقطع الثالث[1].

التركيبات التي يدخل فيها النبر:

يدخل النبر في التركيبات الآتية :

1 / : التركيب المكون من ثلاثة مقاطع , مثل قوله تعالى ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ تنبر القاف ، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ تنبر السين ، ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تنبر النون ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ تنبر القاف ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ تنبر التاء ﴿ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ تنبر القاف ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ تنبر الهمزة ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ تنبر العين ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾تنبر الكاف ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ تنبر الكاف .

ونرى أن الأساس النفسي العلمي لهذا النوع من النبر أن اللغة العربية تغلب فيها الجذور الثلاثية علي غيرها .

2 / :حروف عطف أحادية تليها حروف جر أحادية داخلة على ضمائر مثل (ولهم . فلهم . ولكم . فلكم . ألكم . فبما) والنبر فيها يكون على حرف الجر. أي على المقطع الثاني أيضا . ومما يلحق بذلك ما يكون حرف الجر فيها بداية شبه جملة هي خبر مقدم لمبتدأ بعده مثل﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بل إن أهمية إبراز كون حرف الجر بداية شبه جملة خبرا تجعل نبره مفيدا حتى لو لم يسبق بعاطف ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ وهذا النوع كثير أيضا منتشر في القرآن ، والمهم أنه لا ينبغي أن يغيب عنا أن النبر الذي نهتم به أو ينبغي أن نهتم به هو ما يبرز معنى الكلام أو يساعد على إبرازه بأن ينبه إلى أن المقطع الثاني مثلا هو بداية لحرف أو لفعل أو إلى أن المقطع بداية لجملة مستقلة .

[1] انظر :د. أحمد محمد قدورة .مبادئ اللسانيات ,دار الفكر , دمشق , ط1 /1996 م , ص 118 .

3 /: النبر في الحرف المقطعة .

- (إن +ما ، أن +ما)

ينبر من (أن + ما) ثماني آياتٍ الأولى وما عداهما (اثنان المائدة 49،92 وأحد عشر موضعا أخر الأنفال 28 . هود 14.

إبراهيم 52 . الكهف 10. الأنبياء108. المؤمنون 115. القصص 24 . 50 ، 70 . فصلت 6 . الحديد 20) لانبر فيه

- (كل+ ما) ينبر في هذا التركيب موضع واحد وهو اسم يعود عليه ضمير وهو قوله تعالى :﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (34)" وما عدا هذا الموضع لا ينبر .

- (بئس + ما)

كل(بئس + ما) تنبر ماعدا ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ (150) الأعراف .

- (أين + ما) ورد هذا التركيب اثنتي عشرة مرة منها ثلاث مرات "ما" فيها موصول فتنبر وهي:﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...﴾ (37الأعراف ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (92)الشعراء ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (73)غافر وهذه الثلاثة رسمت مفصولة وسائرها "أينما " فيه اسم شرط أو ظرف مكان مجرد من الشرط لاتنبر فيه "ما" وهي ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا ...﴾ (115) ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ ...﴾(148) البقرة ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ...﴾ (112)آل عمران ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ ... ﴾ (78)النساء ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ...﴾ (76)النحل ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْت ﴾ (31)مريمُ ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ...﴾ (61) الأحزاب ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(4)الحديد ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (7) المجادلة .

ومن ثم نستطيع أن نقول: عرفت اللغة العربية النّبر والدليل تلك الأمثلة التي ساقها بعض اللغويين ممن مسّوا الظاهرة تحت مصطلح غير النبر، كإبن جني الذي تحدث عن "التطويح، والتطريح، والتفخيم، والتعظيم، مما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس

هذا من نفسك، إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فيقول كان والله رجلاً، فتزيد في قوة للفظ، وتتمكن في تمطيط اللاَّم وإطالة الصوت[1].

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني . الخصائص – تح: محمد علي – دار الكتب المصرية . د ط القاهرة 1952 – ص 370– 371
ينظر: جبل دراسات صوتية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط 2 , 2007 م

التنغيم

يعتبر التنغيم من وسائلا البيان والتبيين في أي لغة، ولما كان ظاهرة لغوية، تعددت وظائفه حسب الرؤية التي تدرس بها اللغة فهو يؤدي في بعض اللغات كالعربية والانجليزية وظيفة نحوية، حيث يستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة والدارس اللغوي يتسنى له بشكل واضح استنباط أن الكلام البشري معرض من أصله إلى مجموعة من التغيرات الصوتية، فالكلام قد يكون كلمة واحدة وقد يكون جملة.

إن ما يدركه الدارس للوهلة الأولى أن كثيراً من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطا بالتـــنغيم، ارتباطا قويا، ولكن قدامى اللغويين والمحدثين منهم فصلوا ودرسوا كل ما له علاقة للتنغيم باللغة في معناها ومبناها.

وفي مبحثنا هذا إطلالة مبسطة عن هذه الظاهرة اللغوية، فصلنا فيها مفهوم التنغيم من جانبه اللغوي والاصطلاحي، وأنواعه وبعض التراكيب التي يتدخل عامل التنغيم في سياقها النحوي واللغوي.

أولا: مفهوم التنغيم

أ/ لغة:«جرسالكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها»[1]

ب/ اصطلاحا:«هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»[2]

«يقصد بالتنغيم التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقُول فيه. فكما ان لكل مقام مقالا فكذلك لكل مقال طريقةٌ في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه.فالتهنئة غير الرثاء،والأمر غير النهي، سطوةٌ وردعاً غيرهما شفقةً، وهما غير التأنيبوالتوبيخ، والتساؤل والاستفهام غير النفي وهكذا»[3].

«ويعد الدكتور إبراهيم أنيس أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة وأطلق عليه تسمية (موسيقى الكلام)،إذيقول: " أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ومن اللغات مايجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، اذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعا لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها. ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية»[4].

وفي تعريف كمصطلح لساني يقابله لفظ " **intonation** " يقول تمام حسان «التنغيم ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»[5]، وأحد كذلك إبراهيم أنيس مصطلح التنغيم من اللسانيات التي تراه أحد سمات الأداء الذي لابد من وجوده في أي لغة.

وبالرأي والمفهوم الشخصي فإن التنغيم هو حوصلة التغيرات الصوتية التي تنتاب الصوت من صعود إلى هبوط ومن هبوط إلى صعود تحدث في اللغة لغاية وهدف يقصد بهما المتكلم ويتغير بحسب الحالة التي يكون عليها هذا المتكلم.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت – ط 12 / ص 590

[2] تمام حسان – مناهج البحث في اللغة – دار الثقافة – الدار البيضاء ط2 , 1974 ص 164

[3]محمد حسن المختصر في اصوات اللغة العربية، ط: الرابعة، (القاهرة: 1427هـ/ 2006م، مكتبة الآداب)، ص 176.

[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية– مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (دط)،(دت) ص 176

[5]تمام حسان – مناهج البحث في اللغة - المرجع السابق

ثانيا /: أنواع التنغيم

ارتبطت ظاهرة التنغيم التي تحدثها الأوتار الصوتية، فكلما زادت عدد الاهتزازات وكانت ذات سرعة كان عدد التغيرات في التنغيمات أوضح، يقول "ماريوباي": «التنغيم عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية والإيقاعات في حدث كلامي معين»[1]، لذا فكل كلمة ننطق بها فهي بالتأكيد تشتمل على درجات مختلفة من درجات الصوت وأشهر أنواع النغمات ثلاثة وهي:

أ/ النغمة الصاعدة: وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علوا منها، وتستعمل عادة عند الإبلاغ عن أمر عظيم أو مخيف أو عجيب .... الخ

ب/ النغمة الهابطة: وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخـــفاضاً، وتستعمل عادة عند الإبلاغ عن الأمور التقريرية يعني الإخبارية.

ج/ النغمة المستوية: وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة [2]، وهي تناوب بين الارتفاع والانخفاض.

ثالثا: التنغيم وأثره النحوي:

لعلماء النحو وقفات ذكية تدل على نبههم لما يحدثه التنغيم من توضيح وبيان للإعراب ، فقد أدرك ابن جني أهمية التنغيم في تفسير بعض المسائل الإعرابية عندما تعرض لقضية حذف الصفة في قولهم (سير عليهم ليل) يقول " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليه وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب في قولهم : سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها وذلك التنغيم هو الذي يفرق بين الإغراء والتحذير في قولك (الرجلَ الرجلَ) فإذا كانت النغمة مرتفعة فإنها تحذرك من الرجل وأما إذا نطقت بنغمة مستوية فإنهاتدل على الإغراء. من هنا كانت إشارات ابن جني الذكية تدل على أهمية التنغيم فقد بين أن (.. لفظ لاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خبراً.

---

[1] أسس علم اللغة – ماريوباي - ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب بالقاهرة، ط: 2 – 1983، ص: 93.

[2] ماريوباي، اسس علم اللغة،ترجمة:د. احمد مختار عمر، (طرابلس: 1973 م، جامعة طرابلس)، ص 9

وذلك قـولك : مررت برجل أي رجـل. فـأنت الآن مخـبر بتـناهي الرجـل فـي الفضـل، ولستمستفهماً»[1].

والذي يدل على ذلك إنما هو التنغيم الذي يجعل المتحدث يمد صوته عندما يقول أي رجل مستخدماً النغمة العالية المنتهية بالمنحدرة. ويذكر السيوطي ما حدث بين الكسائي واليزيدي حين سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الخليفة هارون الرشيد عن بيت من الشعر أنشده وقال له هل ترى فيه من عيب: لا يكونُ العيرُ مهراً لا يكون المهرُ مهرٌ(فقال الكسائي قد أقوى الشاعر، لابد أن ينصب المهر الثانية على أنه خبر كان، فقال اليزيدي الشعر صحيح إنما ابتدأ فقال المهر مهر)[2]. هذه الحادثة تدل على أن المنشد قد سكت سكتة عند (لا يكون) الثانية ونطقها بنغمة عالية ومنتهياً بنغمة منحدرة ثم ابتدأ بقوله المهر مهر. ويظهر هذا جلياً عند التحدث والنطق وبالأخص عند إنشاد الشعر. فالأصل في اللغة أن تكون متحدثة ومنطوقة؛ لأن النطق يأتي أولاً والكتابة تمثل المرحلة الثانية، لأنها ما هي إلا صدى ومحاولة لرسم ما نطق. والكتابة غالباً ما تخفي بعض طرق النطق كالنبر والتنغيم.

رابعا / خواص التنغيم

للتنغيم خواص يختص بها:

1- النغمة ونعني بها حركة النغمة في العبارة التي يكون فيها ارتفاع جرس الصوت الأساسي أو انخفاضه فالنغمة مكون نغمي

2- الشدّة وهي المكون الإيقاعي الحركي.

3- الطول والسرعة وهو المكون الزمني.

4- الوقت أي القطع والنطق بأطوال مختلفة.

5- الحِدَّة أي تلوينات الكلام الشعورية والانفعالية[3].

---

[1] الزركشي – البرهان في علوم القرآن –تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث،القاهرة، د ت. ص

[2] رضوان القضماني، الأنماط التنغيمية في اللسان العربي في علوم اللغة.

[3] نفس المرجع السابق.

6- يعتمد على المنطق دون المكتوب، وإن كتن اللغويون قد وضعوا علامات للترقيم تعبر عن تلك النغمات مثل (النقطة، الفاصلة، علامة الاستفهام، التعجب ...)

7- التنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات لكونها تؤثر في تغير الدلالة دون أن تتغير المفردات.

وهي الخصائص التنغيمية لا بد من وجودها جميعا في العبارة المنطوقة وذلك لكون أي نطق لا يمكن أن يتم بمعزل عن قوة الصوت أو شدته أو سرعته، ومن ثم فهي تتشارك جميعا في أداء وظيفتها وعلى ذلك يصعب الفصل بينهما [1].

خامسا: وظائف التنغيم

للتنغيم وظائف تركيبية ودلالية سنوضح بعضها فيما يلي:

1/: التنغيم يفسر المعنى النحوي، وهو المسؤول عن تحديد عناصر الجملة المكونة لها، وذلك «أولئك الرجال المناضلون»[2]، وقد تكون (أولئك الرجال) عنصراَ واحدا مبتدأ (مبدل منه وبدل) و (المناضلون) خبره فإذا وقفنا على (أولئك) بمفردها كانت مبتدأ و(الرجال)خبراً، و(المناضلون)نعت، وما أحدث هذا التغير في الإعراب والعناصر النحوية الاّ التنغيم»[3].

2/:قد تؤدي النغمة في المعنى مؤدي الصيغة في الصرف فالصيغة الصرفية التنغيمية منحنى نغمي خاص بالجملة، يعين على الكشف عن معناها اللغوي، كما أعلنت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي.

---

[1] نادية رمضان النجار، اللغو وأنظمتها بين القدماء والمحدثين – دار الوفاء للطباعة والنشر،الإسكندرية، د ط، د ت، صفحة 35

[2] محمد حماسة عبد اللطيف – العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، الكويت، د ط 1983، صفحة 300.

[3] نادية رمضان النجار، المرجع نفسه ص 87.

المثال: فإذا قلت (هي جميلة جدا) [1]بنغمة صوتية (صاعدة- هابطة) حتى آخرها فإننا نعني بذلك الجملة خبرية، ولكن إذا قلنا بنغمة (هابطة- صاعدة) فإن المعنى تختلف مع أن الصيغة واحدة فتكون استفهامية، ومن ثم يعد التنغيم جزءا من المعنى الدلالي.

3/:يؤدي التنغيم مؤدى بعض الأدوات عند حذفها، ومن ذلك نغمة الدعاء في قول الداعي (لاشفاك الله)[2] بدون الواو اعتمادا على تنغيم الجملة بالوقف والاستئناف، وهذا ما أجاز للشاعر " عمر بن أبي ربيعة " أن يحذف الأداة (الهمزة) دون الوقوع في أي لبس وغموض عن ذلك قال: ثم قالوا:تحبها؟ قلت بهراً عدد الرمال والحصى والتراب [3]، فقد أغنت النغمة في (تحبها) عن أداة الاستفهام (الهمزة) وعوض عن ذلك بعلامة الاستفهام (؟)ولم يتأثر المعنى، وقد تغني النغمة أيضا عن أداة النداء، بتنغيم المنادى، وكذلك في الاختصاص تضافراً مع العلامة الإعرابية في المثال قولهم: نحن العرب نكرم الضيف[4].

4/: التنغيم يفرق أيضا بين معاني الأدوات والحروف، كالفرق بين (يا) للندبة والنداء، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ من الآية 56 من سورة الزمر، ف (يا) هنا للندبة،للتعذر، النداء على الحسرة ولنغمة الحزن التي تكشف حديث المعاصي يوم القيامة.

5/: وللتنغيم أيضا دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة، نحو الدلالة (نعم، يا سلام، الله ...الخ) ولا يفرق بينهما إلا التنغيم الذي يتضافر مع القرائن الحالية لحركة اليد وملامح الوجه مع انقباض وانبساط وخلافه، فجملة (ياسلام) قد تدل على التهويل أو التحقير أو التأثير أو الشك أو السخرية أو غير ذلك، وبذلك يُزال أي لبس في الكلام [5].

---

[1] خليل أحمد عمايرة – أسلوب النفي والاستفهام، مطبوعات جامعة اليرموك، د ط، د ت – صفحة 30.
[2] تمام حسن، اللغة العربية معناهاومبناها،القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب – ط2 – 1979م – الصفحة 227.
[3] عمر ابن أبي ربيعة – الديوان – تحقيق الشيخ محمد محي الدين، النهضة المصرية للكتاب – د ط , 1978 - صفحة .....
[4] نادية رمضان النجار، المرجع السابق. صفحة 87.
[5] تمام حسان – مبحث أمن اللبس ووسائل الوصول إليه ـ حوليات دار العلوم،القاهرة،دط–1968، ص 125

6/: وبالإجمال يمكن تضيف وظائف التنغيم على ثلاث وظائف رئيسة كما قدمها المحدثون تتمثل في:

الأولى: وظيفية بلاغية وتظهر في دون الكلام قد أكتمل أولا، وهل الكلام نفي أو استفهام أو دعاء.

الثانية: وظيفية تعبيرية تعطي إمكانية استيضاح شخصية المتكلم وانتمائه إلى هذه الفئة الاجتماعية أو تلك[1].

سادسا: أنماط التنغيم في اللغة العربية.

1/ نغمة التعبير: والمراد بالتعبير هنا مجموعة من الكلمات تقل حتى كلمة واحدة ويزيد إلى بعض كلمات أو أكثر، وتقع بين وقفين يجمعهما سياق محدد مثال:يا دار / تكلمي أين الأحبة // ويمكن أن يتغير حدود هذا التقسيم على تعبيرين: يا دار تكلمي / أين الأحبة؟ // . ويمكن أيضا أن تقسم إلى ثلاثة تعبيرات: يا دار / تكلمي / أين الأحبة؟، وكل تعبيرة في هذا التقسيم تشكل وحدة كلية كونها دلالة أو دلالات مترابطة.[2]

2/ نغمة التعبير المعترضة:ويقصد بها الكلمة أو التركيب أو الجملة التي يعترض بها كلام لا يتصل بها نحوياً مثل:(محمد، في ظني،ناجح) فالتعبيرة(فيظني) لها نغمة تختلف عما اعترضته. [3]

3/ تنغيم النداء: وهو غالبا ما يتصدر الجملة، ولذلك يكتسب النداء تنغيميا قدرة تعبيرية مُثْلَى تتشكل من النغمية والشدة والطول والحدة المحملة بالشحنة الشعورية والانفعالية، أما المقاطع التي تليه تكون نغمتها أضعف من الأولى مثل (يا زيد–اتّقِ الله)، فالنغمة التعبيرية للنداء أعلى من نغمة التعبيرة الثانية.

---

[1] نادية رمضان النجار، المرجع السابق – ص89

[2] رضوان القضماني، الأنماط التنغيمية في اللسان العربي في علوم اللغة. ع1. ج 13 2001 ص 210

[3] رضوان القضماني المرجع السابق ص 90

4/ تنغيم البدل: نقصد به الكلمات والتراكيب التي تدل على البيان (البدل) والتوكيد والحصر والتـــحديد والتخصـــيص وهي تعبيرات يمكن أن تكون مختلفة في مكوناتها وأنماطها النحوية، إلا أنها جميعا متشابهة في لفظها التنغيمي[1].

مثل: (الأستاذحسان، مدير التحرير، موجود)، (هناء،ابنتي، ستاتي غداً)، (نحن الفلاسفة نقدم العقل على النقل).

العجوز ، والدنا ، يركب الدراجة .

5/ تنغيم التعبيرات التعدادية: تتشكل التعبيرات التعدادية نحويا عادة إمّا من تكرار المسند إليه أو المسند أو الفضلة، لينتج عن هذا التكرار تعبيرات لا يختلف تنغيم الواحدة منها عن الأخرى إلا قليلا نتيجة تلون دلالي بسيط يكسب كل واحدة منها تميزه، مثل(فلان– كريم / محب للخير/محسن إلى الناس/)، تعدد الخبر شكّل تغيرات مهمتها الدلالية أن تنسب مجموعة من الأحكام إلى محكوم واحد، والتنغيم كل تعبيرة من هذه التعبيرات ماعدا الأخيرة ذو نغمة صاعدة[2].

6/ تنغيم الاستفهام: وهناك استفهام يبدأ بالأداة فيتسم بنمط تنغيمي صاعد هابط، كما في قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

من الآية 9 من سورة الزمر، فالنغمة ترتفع على "يستوي" بالقدر الذي يوضح دلالة الأسلوب [3]، كما يوجد استفهام بلا أداة مثل (كنت تكتب في أوراق أم في دفاتر صغيرة)

ويلاحظ أيضا ان النغمة ترتفع في التعبيرة الأولى ويبقى أعلى مستوى محمور النغمة الأساسي [4].

---

[1] المرجع نفسه صفحة 243.
[2] نادية رمضان النجار - المرجع السابق صفحة 91.
[3] رضوان القضماني – المرجع السابق صفحة 262.
[4] المرجع نفسه – صفحة 268.

7/ تنغيم الطلب: ينقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: يشمل ما كان مسنده فعل أمر مثل قوله تعالى ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ الآية 50 من سورة الإسراء

الثاني: يشمل ما كان يبدأ بدعاء أو بنداء يليه طلب يبدأ بفعل أمر، مثل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من الآية 126 من سورة البقرة.

الثالث: يشمل طلب أو نهي يبدأ بفعل مضارع مجزوم مثل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ من الآية 286 من سورة البقرة

الرابع: يشمل طلب حذف مسنده مثل «الجهاد الجهاد»[1].

سابعا: أهمية التنغيم

مما جاء في البيان والتبيين «والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتفتل والتثني»[2].

وإشارة الجاحظ لدليل على أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلم وهي بعد ذلك التفافة واضحة المعالم.

للجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي، ويسميه الدكتور" إبراهيم أنيس " موسيقى الكلام [3].

وبنغمة الدكتور " محمود السعران" بقوله:(المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام [1]، ويقرن الدكتور " تمام حسن " التنغيم في الكلام أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويع والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم به مقام كويل ونحو ذلك[2].

---

[1] رضوان القضماني، المرجع السابق صفحة 269 –270.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين – تحقيق عبد السلام هارون -1960 – ج1- صفحة 79

[3]إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، القاهرة . د ط – د ت – صفحة 176.

كما أنك عندما تمدح إنسانا وتثني عيه يقول «كان والله رجلاً فتزيد من قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك»[3].

إن قول ابن جني (فتزيد من قوة اللفظ ب (الله) وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، هو نطق الكلمة منغمة ، كما أن النحاة قد استخدموا مصطلح الترنم للذلالة على التنغيم ، فالترنم إنما هو مدّ الصوت وإطالته وهو ظاهرة تنغيمية، يقول ابن يعيش (أعلم أن المندوب هو ...) ويقول: «ولما كان مدعواً بحيث لا يسمع أتوا في أوله بياء أو واو لمد الصوت ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخراً للترنم»[4] ، إنما ليدل على إدراك النحاة بأهمية التنغيم فالواو خصصت للندبة لما فيها من التفجع والحزن إذ "المراد رفع الصوت ومده لإسماع جميع الحاضرين"[5].

إن هذه الإشارات التي ذكرها علماء العربية تدل على أنهم عرفوا لما للتنغيم من أهمية في إيضاح المعاني. فالفرق بين كم الاستفهامية وكم الخبرية، إنما تأتيان كل واحدة منهما تحتوي على أداء معين بها تتميز. والنحاة عند استنباطهم واستخراجهم قواعد اللغة اعتمدوا على سماع كلام العرب، ففرقوا بينهما على أساس ما تشتمل عليه من نغمات. ومثل هذا نجده في صيغ التعجب وأساليبه القياسية والسماعية. فالنغمة التي في التعجب توحي بأن هنالك شيئاً خفياً حمل المتكلم على التعجب، وهو ضرب من الإيهام. وقد قال الزركشي نقلاً عن الرماني (وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي)[6] ،فصيغتا التعجب (ما أَفْعَلَهُ) و(أَفعلْ بِهِ) تشتمل الأولى على نغمة صاعدة ثم مستوية ثم منحدرة. أما أفعل به فمستوية ومنحدرة.

المنطوق وما يماثله من حيث الأهمية بالترقيم في الكلام المكتوب قائلاً: «غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة»[7]، وهنا يتضح أن لنا أن التنغيم

---

[1]محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، مصر 1962 – صفحة 210.

[2]محمود الطناجي ، مستقبل الثقافة العربية .

[3]أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار – دار الكتب المصرية 1956 – الجزء الثاني صفحة 370-371 .

[4]المرجع نفسه صفحة 371 .

[5]عبد اللطيف محمد الخطيب ، ابن يعيش وشرح المفصل – مجلس النشر العلمي ط1 1999 – الكويت ص

[6]البرهان في علوم القرآن المجلد الثاني ص 317 .

[7]تمام حسن . المرجع السابق صفحة 226 .

أكثر أهمية من الترقيم فبإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون ترقيم، ولكن مع الكلام المنطوق تبرز أهمية التنغيم في إبراز القيم الدلالية في الفعل لكلامي، فالتنغيم تنويع في درجات الصوت خفضا وارتفاعا في الوحدة الدلالية مهما تنوعت مقاطعها وظهورها ضمن سياق الكلام.

كما أن التنغيم يصنف كقيمة استبدالية عن الغرض القصدي للمتكلم وهذا ما يلاحظ في السور القرآنية التالية:

1/:لقوله تعالى ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الآيتين 73 و74 من سورة يوسف. فتقرأ الآيتين بصورتين تنغيميتين: الأولى (قَالُوا جَزَاؤُهُ) بتنغيم الاستفهام (مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) بتنغيم التقرير.

2 /:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَك تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية الأولى من سورة التحريم، فحذف حرف الاستفهام وأستعيض عنه بالتنغيم والأصل (أتبتغي) فالتنغيم دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة نحو لا!نعم! يا سلام! الله ! ...الخ لأن تقال بنغمات متعددة ، وبتغيير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات .

ويحدث أحيانا أن يستعمل المتكلم النغمة على صورة تقوى من العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذي سيقت له فإذا قال (بلاد بعيدة) عبر عن شدة البعد بمد الياء مدّاً طويلا، وكذلك الفتحة التي بعدها من كلمة "بعيدة " ونطق الياء والفتحة على نغمة واحدة مسطحة عالية نوعا ما. وإذا أراد التعبير عن التراوح بين مكانين بقوله: (رايح جاي) أعطى كل من الكلمتين نغمة خاصة كأن يجعل نغمة (جاي) ثم يكرر الكلمتين كلا منهما بنغمتها مقويا معنى تكرار الرواح والمجيء بهذا النوع من التنغيم .[1]

اللغة العربية هي إحدى اللغات التي واجهت تحديات وصراعات، فلم تبقى محصورة في الشكل والمضمون فحسب، بل ما يفوق ذلك، والتنغيم ظاهرة رافقت التراكيب الجملية المنطوقة وأعطتها بلاغة أكثر من المكتوبة خاصة في الجانب الصوتي كما درسه البحث

[1]تمام حسن – المرجع نفسه الصفحة 310.

الصوتي وعند معالجتنا لهذه الظاهرة اللغوية وقفنا على مجموعة من الملاحظات الختامية لا نزعم لأنفسنا سبق الحديث هتها وهي:

1- إن دراسة اللغة لا يجب أن تكون بمعزل عن الظواهر الأخرى الاجتماعية منها خاصة، ونقصد بالظواهر نتاج البشرية منذ الأزل.

2- التنغيم ظاهرة صوتية كان لها وظيفة بليغة في إنتاج المعنى في الدرس العربي

3- ظاهرة التنغيم كانت نتيجة الاستعمال الحقيقي للمقاطع والتراكيب الجملية.

4- لدراسة النحو باب واسع المجال، وكثيرة هي المواضيع التي يجب أن نعيد قراءتها وفق المنهج الصوتي والتنغيمي، فالجملة المكتوبة تتعدد مفاهيمها ودلالاتها وبمجرد نطقها.

وموضوع المطابقة بين اللفظ والمعنى في كتاب البيان والتبيين هو قضية بلاغية، شغلت بال الجاحظ وعاصريهن وعلى الرغم من هذا فإن كتب النقد والبلاغة لم تحفظ على ما يبدو ومن هذه المطابقة إلا تلك الصورة البديعية المعرفية.

إن المطابقة في البيان والتبيين من الموضوعات التي دخلتها الرواية وتـــناقلتها الأشـــعار، وتناولها الأدباء بالنقد والتحليل، فالمتتبع لهذا المفهوم عند الجاحظ يلاحظ أنه يتجاوز إطار اللفظ والمعنى ليشمل ميادين أخرى تقع تحت المشاهدة والتجربة اليومية، من ذلك ما جاء به في باب عقده للمطابقة سماه " باب من الكلام المحذوف "، نختار منه هذا البيت الذي علق عليه الجـــاحظ : لأنتم ببيع اللحم أعلم منك بضرب السيوف المرهفات القواطع فالشاعر هنا يهجوا خصومه بأنهم لا يحسنون تطبيق السيوف ولا يعرفون من التطبيق إلا الجزارة . وهنا السؤال المطروح أين هم إذن من تطبيق الكلام.

ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: «فلان يفل المحز، ويصيب المفصل». وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز. وذلك أن إصابة عين المعنى باللفظ الموجز في هذه النظرية أشبه من جهة أخرى بإصابة الطبيب الداء الذي أكتشفه في المريض بالدواء اللائق الذي يأتي بالشفاء.

ونذكر بعض أنواع هذه المطابقة كالآتي:

أ/ المطابقة الأولى:إن مطابقة اللفظ للمعنى في هذا المستوى مطابقة أمنية، فهي في نظر الجاحظ ضرورة طبيعية ودينية معًا، يجب على المطبق احترامها كما هي، والإذعان إليها كما جاءت.

الاتجاه الثاني:الانطلاق من المعنى نحو اللفظ وتسمى طريقة الوصل والشاهد أو الرتق أعني طريقة التعبير الصريح والتركيب اللفظي المعتمد على القوانين النحوية.

ب/ المطابقة الثانية: وتتمثل في المطابقة بين الكلام والمستمع هوس التي يهدف المتكلم بها إلى التوفيق بين كلامه من جهة وبين المستمع من جهة أخرى، ولعناية الجاحظ بقضايا السامع تبيان لبعد نظرته وأهميتها في مجال التوصيل، فالمتكلم يجب أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، لأن مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم، ولأن المطابقة قد تمت على هذا الوجه كان ذلك قيمًا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع، وتحقيق هذه المنفعة هي العناية التي يجب على المتكلم أن ينشدها، والكلام في الحقيقة قضية مشتركة بين المتكلم والمستمع، فالمستمع يسهم هو الأخر في إنجاز العملية، وذلك باستعداده لتقبل الخطاب فإذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه وكان النقصان الداخل على قوله بمقدار الخلة بالاستماع منه ويكفي من حظ البلاغة أن يؤتي السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتي الناطق من سوء فهم السامع.

يفهم من مطابقة الجاحظ بين المتكلم والسامع في نهاية الأمر حمل على المعلمين والرعاة والنساء والصبيان[1].

وأهتم من جانب أخر اهتمامًا بليغًا بالحمقى والمجانين، كونهم يمثلون جمعًا مشتركًا هو عدم المطابقة بين الطرفين بين العلم والمعرفة،

---

[1]ينظر: محمد الصغير بناني ، النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين . د ط . ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر 1983م ص 154 و ص 155
ينظر : محمد الصغير بناني ،النظريات اللسانية . مرجع نفسه ص 166 . ص 167.

وبين العاقل والمجنون المستمع...الخ وعدمها ماهي إلا الفرق بين الحق والباطل، والصدق والكذب.

ولذلك نجد الجاحظ يعلق على هذا الشطر، بتطبيقه المفصل: بقوله أحكم... بكلمة فصلب أمر قاطع بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظميين، ويعد التطبيق هنا نوعًا من تطبيق الحدود، ولذلك تكثر فيه عبارات "قضاء" و "حقوق" و "مقادير" و " أقسام " ...وغيرها، إذ يشير الجاحظ إلى أن حق المعنى الشريف اللفظ لدى فمن حقها أن تصونها عما يفسده ويفسدهما ويهجنهما.

فدور المتكلم هنا هو دور القاضي في النظرية التي ترفض الاجتهاد، فهناك ألفاظ لها مواقعها وأماكنها المحدودة بين المعاني يجب تطبيقها عليها كما يطبق القاضي نصوص الشريعة على الحالات المعروضة عليها من الخصوم، وكل ما يمكن أن يأتي به القاضي أو المتكلم هنا هو علمه بالنصوص أو الألفاظ وحدقه في اختيار اللائق منها بالحالة أو المعنى المناسب، دون أن تراوده نفسه على اختراع ألفاظ أو معاني جديدة من عنده، وحتى في حالة المجاز فإنه لا يمكن اعتبار اللفظة المجتلبة أو المعنى المستعار اختراعًا من المتكلم، كون موقفه في ذلك موقف القاضي الذي يطبق القياس الأصولي إنما يحمل مجهولاً على معلوم وليس ذلك من تحريف برأيه، واستبداداً .

فالمطابقة بين اللفظ والمعنى واختيار المتكلم هنا يتم في اتجاهين مختلفين.

أ/ الاتجاه الأول: الانطلاق من اللفظ نحو المعنى، أي إطلاق لفظ وإرادة معنى أوسع من، ويسمى طريقة الفصل أو المثل أو الفتق أعني طريقة المجاز في أو سع معنيه بما في ذلك الكناية والاستعارة وغيرها .

ج/ المطابقة الثالثة:وتتمثل في الظروف والملابسات التي يجري فيها الخطاب والتي يسميها الجاحظ الحال والمقام وسماها البلاغيون، فيما بعد مقتضى الحال، وهي المطابقة بين الأصناف الأولى (اللفظ والمعنى والكلام والمستمع) وبين الظروف الخاصة لكل خطاب والتي تجدد في كل لحظة.

وقد أشار لها الجاحظ في مواضع مختلفة أكّد فيها على ضرورة موافقة الحال وما يجب لكل مقام والموازنة بين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، وحثه على هذا النوع من المطابقة جعله يحس إحساسًا شديدًا بخضوع الكلام واللغة بصفة عامة إلى الحال التي يعيشها المتكلم والمخاطب ولذلك نجده يردد هذه العبارات في كتابه: الناس بأزمانهم أشـــبه منهم بأبـــنائـــهم، وهذا القول على جانب كثير من الأهمية لأنه يعلق مصير اللغة بالظروف التي تحيط بها، وليس هو بأقل درس يلقنه لنا صاحب (البيان والتبيين)، وهذه المطابقات التي وصفناها حتى الآن توجد في الحقيقة في كل متكلم وسامع التي نسميها المـــطابقات النحوية، وفيه نوع أخر من المطابقات هي تلك المطابقات الاصطناعية التي يضيفها الفنان إلى المطابقات الضرورية ويتكلفها تكلفًا لا يدعوه سوى فنه، فهو يخضع لها خاصة الفاظ كلامه، بحيث يصبح همه الوحيد التوفيق بينها وبين هذه الألفاظ، مما يؤدي إلى ترك المعنى وإهماله بل إلى تحريفه وتزويره، وهذا يترتب عنه في النهاية عدم المطابقة بين اللفظ والمعنى، ويلاحظ بالخصوص في الكلام الشعري، لكن بما أن الشاعر على حدّ تعبير أحد النقاد المحدثين ((إنما يهدم بنية الكلام ليعيد تشييدها)) فلا بأس أن نسميها مطابقة[1].

[1] ينظر: محمد الصغير بناني . النظريات اللسانية . مرجع نفسه ص 167

تمهيد:

تمدُّ القرآنية الدرس اللغوي بمادة تزخر بالبحوث التي تستحق الوقف والدراسة والتحليل، ذلك بأن القراءات القرآنية في معظمها تصدر عن خصائص أو ظواهر ذات صلات لهجية ومعطيات صوتية تؤدي إلى تغير واختلاف في الأوجه التي تقرأ بها من يؤدي إلى اختلاف في أساليب نطقها وكذا سياقها الدلالي أو المعنى من جهة ثانية.

إن الفارق يجعل القراءة ممرًّا للقول الدلالي سواء للسامع أو المفسِّر، لذا ينبغي بنا السعي في هذه الدراسة التطبيقية، إيجاد العلاقة بين القراءة ذات الصلة بالظواهر الصوتية والمعنى مستعينا في ذلك بالمعطيات السياقية التي تشترك في إنتاج المعنى وإنتاج القراءة على حدٍّ سواء، وقد وجدنا نبعاً لذلك أن هذا يتوافر عند بحث جدور العلاقة بين الظواهر الصوتية التركيبية وإسهامات الملامح التطريزية كنبر وتنغيم دلاليًا، وكانت هذه العلاقة محط دراستنا.

ومن التطبيقات الصوتية التي وقعت عليها دراستنا قراءة سورة عبس الكريمة، وما لها من ارتباطات واضحة وقوية بالأبعاد الدلالية السياقية مع الظواهر التطريزية وجاءت طريق هذه الارتباطات متجسدة بالنبر والتنغيم، ذلك بأنهما يمثلان ويصوران جانبا متميزًا من علاقة الصوت بالمعنى.

تأثير النبر والتنغيم على السياق اللغوي:

دراسة تطبيقية على آيات من سورة عبس :

إن الكلام عن ظاهرتي النبر والتنغيم على السياق في اللغة العربية، كافي لتوطئة الدخول إلى النص القرآني، وتحليل سمة الكلام الصوتية، خاصة وإن الظاهرة صنفت فزيائية فردية، تختلف باختلاف السياق الكلامي، أمَّا الظواهر الصوتية فلها دور في إبراز ظاهرتي النبر والتنغيم في مختلف المواضيع، ونأخذ سورة عبس المباركة كدراسة تطبيقية.

أ/ التشديد والإدغام:

أ- **1) التشديد:** يستعمل التشديد للدلالة على المبالغة والقوة وتوكيد الكلام، ويظهر في قراءة "عَبَّسَ " بتشديد الباء، وبالرجوع إلى التحليل الصوتي، فإن له دور في معرفة ظاهرة النبر في التشديد إذ أن (عبّس) كلمة تتألف من مقاطع صوتية هي: مقطع قصير مفتوح + مقطع قصير مفتوح + مقطع قصير مفتوح

لهذه المقاطع الثلاثة المفتوحة معنى التفخيم والتكثير في القراءة، ويظهر النبر في المقطع الأول، بمعنى أنه جلب التشديد ومن ثم يكون هو الذي جلب دلالة المبالغة التي تبرز في سياق الكلام اللغوي.

يظهر النبر في مختلف السياقات الكلامية بما فيها النصوص القرآنية ويقصد من وراء استعماله دلالات لفظية تتحكم في الخطاب أو الكلام[1].والسياق اللفظي يوجد فيه ما ينبغي بمعنى المبالغة في هذا الحديث، وذلك بان العتب على هذا الحديث قد جاء لشغل آيتين في هــذه الســورة المباركة هما قولــــه تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى *﴾، فقد أستبدل الخطاب القرآني الدالة على العتب ومن ثم الدلالة اللفظية (تشديد عبّس) فلم بنص على ذلك بالتشديد وإنما دل عليه بسياق النص كله .

وتكون هذه القراءة مستندة على أصول لهجية تميل إلى استبدال المقاطع المفتوحة المتوالية وتحويلها أو كراهة تواليها فتتحول إلى ما يمنع هذا التوالي فالتشكيل الصوتي (عبَّس) .

مقطع طويل مغلق+مقطع طويل مفتوح+مقطع طويل مفتوح

وهذه الخاصية اللهجية التي امتازت بها لهجة تميم تبدأ بالنبر وصولاً إلى التخلص من توالي المقاطع المفتوحة

أ- **2) الإدغام:** الإدغام هو من التأثير الذي يحدث بين الأصوات المتجاورة، فيصل إلى حد التماثل التام بين الوحدات الصوتية، وهو من الظواهر الصوتية الواسعة ومنه القراءة في سورة عبس (تتصدى) .

إلا أن الصاد قد أثّرت في التاء التي صُنِّفت من الأصوات المهموسة المرققة فانقلبت صــــادًا، أي أنه قد حصل تأثيرًا مُدْبَرْ فأثّر الصوت الأقوى في الصوت الأضعف، ويبدو ان

---

[1] ينظر أحمد مختار عمر، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص 215.

السبب في قراءة الإدغام هو الميل مرافقًا للنبر في المقطع الأول أو ناتجًا عنه، وقد يكون هذا المقطع قد وقع عليه النبر لغرض الإلمام بالدلالة على التوكيد بنسبة ما [1].

أ –2) الهمز والمدّ: تعدد التعريف للهمز والمد في الدراسة، فهما من الناحية التطبيقية متماثلان، إذ يشكل كل منهما إحساسًا صوتيًا يتبعه انفجار[2]، يقول عبد الصبور شاهين ((إن تتبع العلاقة اللغوية بين مفهوم الهمز والنبر يوقفنا على موضع النبر في نطق العرب الفصحاء ..... فإن ملاحظتنا على النبر وعلاقته بالهمز يبدوا ذات أهمية بالغة، حتى لنوشك ابتداء أنْ نقرر هنا أن النبر كان يبدو مع الهمزة في الكلمات المهموزة))[3]، وتزداد العلاقة بين النبر والهمز وضوحًا في (النبر الحنجري)، وهو التوتر أو الإحساس المفاجئ الذي يسبق في حالات معينة إصدار حركة واقعة في أول الكلمة.

من مفهوم النبر الحنجري أن الوظيفة الصوتية تتوحد مع الموقع الذي يتم فيه إنتاجه في الجهاز النطقي ألا وهو(الحنجرة)،

وهذا النبر همزة ليس غير، وليست همزة تمثل جزءًا من بنية الكلمة.

لقد أختلف علماء التجويد في اجتماع المدمغ الهمز، ونجد في رأيهم قراء سورة عبس المباركة (آآن جاءه)، الهمزة الأولى في هذه القراءة للاستفهام "الإنكاري" أو "للتعجب". أما المد الذي جاء به القارئ بعد الهمزة فيكون لغرض الاستعداد للتصويت بالهمزة الثانية، فلما كان صوت المد غير موجود أصلاً، أتى به القارئ لغرض المحافظة على الهمزة في السياق.

إن المقاربة الصوتية للمد والهمز تبرز أن الوظيفة الصوتية والوظيفة الدلالية للنبر والتنغيم يجتمع في النبر، ويعزز هذا التفسير بقراءة (آآن) فلم يأت فيها المد قبل الهمز حتى يقال أنه جاء لغرض المحافظة عليه، وإنما جاء بعدها ليمثل تنغيما صاعدا قبل انتهاء الجملة ليتولى

---

[1] ينظر: أحمد مختار، المرجع السابق، ص216.

[2] إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية ، المطبعة الفنية الحديثة، ط 2 -دت– ص 98

[3] عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة والحديث – مكتبة الخانجي–دط–دت .ص 213

الدلالة على التعجب والإنكار في المكان الذي تأتي منه الدلالة على الاستفهام نفسه ليتضح أنه ليس الاستفهام الحقيقي هو المراد.

ج/ الحذف والتخفيف:

يحدث الحذف والتخفيف في الصوامت والصوائت التي تكون في بنية الكلمة، وتميل اللهجات العربية إلى تخفيف كان مثقلاً عمومًا وذلك قراءة (تَلْهَى) بإسكان اللام، ويبدو أن هذه القراءة قد نتجت عن انتقال موضع النبر، فإن (تَلْهَى) ينبر على مقطعها الثاني، وتشكيلها المقطعي مقطع قصير مفتوح + مقطع طويل مغلق + مقطع قصير مفتوح

وعندما ينتقل النبر إلى المقطع الأول يكون الاحتياج إلى غلق المقطع فيحدث حذف المتماثل (الهاء الساكنة) مع المقطع الثاني، وينتقل التسكين إلى المقطع الأول ليتحول من حالة الفتح على حالة الإغلاق، وهذا ما يوضحه التشكيل المقطعي لقراءة التخفيف (تَلْهَى) .

مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مفتوح

ولا يخفى في هذه القراءة الاجتزاء الذي أصاب البنية الصرفية، فتحولت من بنية ذات ثلاثة مقاطع إلى بنية تتألف من مقطعين، وتغيرت دلالة الفعل بانتقال موضع النبر ، فصار يدل على قمة الانشغال، وذلك ما يناسب مع البنية المتجزئة .

ويمثل هذا التفسير توجه قراءة ((يَذَّكَّرُ)) بالتخفيف، فإن انتقال النبر من المقطع الثاني إلى المقطع الأول صاحبه إغلاق المقطع المنبور فينتج التخفيف والاجتزاء، وتصاعد الخوف في آخر آيات هذه السورة المباركة فقد تسبب في النبر على هذا المقطع لاحتواء الخوف والندم والحسرة والتعبير عندها: فيكون النبر، نجد هذا مرتبطا بالحالة النفسية في حدوث النبر ليكون مصداقا تطبيقيا لها[1].

ج/ الإشباع:

الاشباع من الظواهر الصوتية الكمية الخاصة بالصوائت القصيرة،وهو الزيادة في تمكين هذه الصـــوائت إلى الحـــد الذي تتحول معه إلى صوائت طـــويلة، فإشباع الفتحة نتج عنه الألف ، وإشباع الضمة ينتج عنه الواو ، وإشباع الكسرة ينتج الياء.

و منه قراءة: ((عنهو تَلَهَّى)) بإشباع الضمة في ((عنهو)) ، هذا الإشباع الذي حصل بسببهن النبر على الهاء لأجل إظهار القوة و التوكيد ، و لاسيما أنَّ السياق قد حوى ما يدل

---

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص 187-188.

على التوكيد ، و ذلك في قوله تعالى :((تَلَهَّى)) فنقل القارئ التوكيد إلى ((عنهو)) مضاعفة له.

د/الإمالة: وهي ((أنتنحوا بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء ، او هي احدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة. نطقا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة))،ومما قرئ ممالا في سورة عبس المباركة:﴿أَنَّاصَبَبنا﴾.وهذه القراءة تأتي ((على معنى فلينظر الإنسان، أو على معنى ((أين ، إلا إنَّ فيها كناية عن الوجوه ، وتأويلها: من أي وجه صببنا الماء)) كيف صببنا الماء؟)) .

وما يمكن أن يضاف في هذا السياق أنَّ هذه القراءة ناظرة الى التلازم السياقي بين الاستفهام الانكاري وما يدل على نظر الاعتبار والتفكر في الاستعمال القرآني؛ ذلك بأنَّه استعمل ((انظر،انظروا، ينظروا،لينظر)) للدلالة على النظر الاعتباري والتفكيري (45مرة) اِقترن في (40)منها بأدوات الاستفهام ، إذ ورد (35مرة) مع ((كيف)) ، ومرتين مع((ماذا)) ، ومرة واحدة مع كل من ((أ ، أنَّى ، ما)).

والإمالة في هذا السياق الصوتي من المشكل، فقد جاءت من غير أن يكون الغرض من ورائه، تحقيق المماثلة أو الانسجام الصوتي ، بل جاءت مع وجود ما يمنع هذه الإمالة، ذلك بأنَّ الألف والفتحة القصيرة لا تمالان إذا جاءتا قبل أو بعد واحد من أصوات التفخيم ومعلوم أنَّ الصاد صوت مفخم.وهذا لا يعني عدم وجود تفسير صوتي لهذه الإمالة ، فقد تكون ممثلا للتنغيم الهابط الذي يصوت به مع عدم تمام المعنى للدلالة على الحث والتدبر، او الدعوة إلى الإذعان، للقدرة الإلهية والخضوع لسلطان الحق.

وقد يرتبط التنغيم في هذا السياق بالإشارة إلى أنَّ ما يأتي من الأهمية بمكان فكأنَّه يستقبل او يمهد الى شيء من التذلل والخضوع. وليست بعيدة دلالة التنغيم في سياق النعمة عن السرور والارتياح ، فضلا عن الاشارة الى الشكر الذي توجبه هذه النعمة. ولا يفوتنا في معرض التحليل الصوتي الدلالي ما للتنغيم من دلالة على الانبهار والتعجب من القدرة الإلهية بغية الإيمان والتصديق[1].

[1] ينظر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص 187-188.

الفصل الثاني:

ظاهرة الوقف في القرآن الكريـــــم

المبحث الأول: تعريف الوقف وأنواعه.

المبحث الثاني:

فضل الوقف وعلاقته بالمعنى في القرآن الكريـــــم.

الوقف

تمهيد:

فالواقع أن باب الوقف والابتداء باب هام جداً يجب على قارئ القرآن الكريم أن يهتم به، إذ هو دليل على فقهه وبصيرته، لأن القارئ قد يقف أحياناً على ما يخل بالمعنى، وهو لا يدري أو يبتدئ بما لا ينبغي الابتداء به.

فإن كان ذا بصيرة، فإنه لن يقف إلا على ما يتم به المعنى، اللهم إلا إذا اضطر إلى غير ذلك، فإن عليه حينئذٍ أن يعالج أمره بأن يرجع كلمة أو أكثر أي إلى موضع يجوز الابتداء به، فيستأنف قراءته بادئاً به، ومنتهياً بجملة تفيد معنى يجوز الوقوف عليه.

فإن القارئ من استناده لتلك العلامات التي أتفق عليها العلماء، وفي حالة أدّاها بصورة صحيحة كانت قراءته كاملة، وتجنب اللبس في الخطأ، وتبرز أهمية الوقف في القراءة وخاصة في قراءة القرآن الكريم أن الوقف في غير محله يؤدي إلى تغيير معنى الجملة وقلبها إلى ضدها كما أن هناك مَواطن يجب الوقوف عليها في المصحف الشريف، فلو اتصل الكلام لكان المعنى مبهما ومرتبكا وقد فصلنا في فصلنا هذا دراسة نظرية وتطبيقية في آن واحد بينَّا من خلالها موضوع الوقف في القرآن الكريم وبعض المواضيع التي لزم فيها الوقوف في بعض آيات الله سبحانه وتعالى.

تعريف الوقف:

أ – لغة:

الحبس: وهو مصدر وقف يقف كوعد يعد، قال: عنترة العبسي: " وَوَقَّفْتُ فيها نَاقتي فكأنها فَدَن [1] لأقصي حاجة المتلوم[2]، وهدا الفعل يتعدى ولا يتعدى، ويجمع في قولك:

وقفت فلانا فوقف.

وأمّا أوقف فلغة رديئة، قال الجوهري:«وليس في الكلام أوقف إلاُ حرف واحداً، أوقفت على الأمر الدي كنت عليه»[3].

ومثل هدا في القاموس قال:«وأوقفت سكت وعنه أمسك وأقلع، وليس في فصيح الكلام أوقف إلاٌ بهذا المعنى»[4].

وقد أنكر ابن جني وردد كلمة أوقف في لغة العرب بتاتا،قال:« أخبرني أو على الفارسي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان المازني قال: يقال وقفت داري وأرضي ولا يعرف أوقف من كلام العرب[5] »

ب – اصطلاحا:

«هو فن جليل يعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء لإتمام المعاني، والابتداء بمواضع محددة لا تختل فيها المعاني»[6]

– كما ورد ذكر ابن الجزري: «عبارة قطع الصوت على الكلمة زمن يتنفس فيه عادة واستئناف القراءة ..... لابنية الإعراض[7].

---

[1] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الرياض، دار الهداية (د ط)، (د ت) مادة (وقف)

[2] ديوان عنترة العبسي، البيت الثالث من المعلقة، بيروت. دار صادر للطباعة وال نشر1958. ص15

[3] الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، بيروت، دار الحضارة العربية، (ط1)، ص1309

[4] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الرياض، دار الأفكار الدولية، (د ط)، (د ت) مادة (وقف).

[5] ابن الهمام فتح القدير،بيروت، دار الفكر. د.ت، د.ت، ص200.

[6] الزركشي، البرهان في علوم القرءان تح: محمد ابو العضل ابراهيم دار التراث. د.ط، .د.ت مادة (وقف).

[7] ابن الجزري، النشر في القرءان العشر تح: علي محمد الضباع المطيعة التجارية الكبرى. د.ط، .د.ت ص240.

مؤشرات الوقف في القرآن الكريم

" م ": تفيد لزوم الوقف كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾الأنعام الآية 36

"لا" : تفيد النهي عن الوقف ، كقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾البقرة الآية 262 .

(صلي)تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف كقوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّني هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾البقرة الآية 38.

(قلي):تفيد بأن الوقف أولى كقوله تعالى ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾الكهف الآية 27.

(ج) : تفيد جواز الوقف كقوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾الحجرات الآية 7.

(ـ) : تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾البقرة الآية 2.

(م): للدلالة على وجود الإقلاب، كما في قوله – تعالى –: ﴿عَلِيمٌ مبِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

(س): للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصّاد إذا وقعت السين أعلى الصاد(فإذا كان القارئ منتبها لَتمكّن من معرفة موارد الوقف)[1].كقوله تعالى: "والله يقبضٌ ويبصٌط" (البقرة245)– " وزَادكُم في الخُلق بٌسطٌة " (الاعراف 29) يتضح أن البحث العلمي

[1] محمد حسن آل طعمة – جمال البيان في تجويد القرآن – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، طبعة 1 – 2007م – صفحة 175

في هذا المجال أستطاع أن يجمع بين المعنى وسياق الكلام بالوقف والابتداء أو المواصلة في الكلام، والمؤشرات السابقة الذكر تعد نظام جميل في دراسة القرآن الكريم، أعتمده علماء التجويد في تلاوة القرآن وترتيله بشكل واضح ومعنى أوضح.

أنواع الوقف في القرآن الكريم

للوقوف في تلاوة القرآن الكريم أنواع مختلفة وضعها علماء وباحثين في هذا المجال، ومن أقسام الوقف الأربعة نذكر:

أ/الوقف التام:

هو أن يقف القارئ على كلام تام غير متعلق بما بعده لفظا ولا معنى، وقد سمي تامًّا، لحصول تمام الكلمة به واستغنائه عما بعده نحو قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة الآية 5 ، وأكثر ما يوجد التام عند رؤوس الأي، وآخر كل قصة ، وما قبل أوّلها وآخر كل سورة ، وآخر الأحزاب ، والأنصاف والأرباع ونحوها .

ب/ الوقف الكافي : وهو أن يقف القارئ على كلام تام متعلق بما بعده في المعنى دون اللفظ ، كالوقف في قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ﴾البقرة من الآية 6 .

ج/ الوقوف الحسن:

هو ان يقف القارئ على كلام تام متعلق بما بعده لفظاً ومعنى، وسمي حسناً لأنه يؤدي معنى يحسن الوقوف عليه ، نحو الوقف على (بسم الله) أو على (الحمد لله) وما أشبه ، فحو حسن لأن المراد من ذلك مفهوم ، ولكن لا يحسن الابتداء ب (الرحمن الرحيم) أو (رب العالمين) لتلقه لفظاً ن إذ هو مجرور والابتداء بالمجرور قبيح .

د/الوقف القبيح:

هو أن يقف القارئ على كلام غير تام، ولم يؤثر معنى صحيحًا، وذلك لشدة ارتباطه بما بعده لفظًا ومعنى، وقد سميَ قبيحًا لقباحة الوقوف عليه، لأنه غير تام، لذا لا يجوز الوقوف عليه إلا إذا كانت هناك ضرورة ملحة ألجأت القارئ إليه، كسعال أو عطاس وغير ذلك من

الضرورات، فمثلاً في الوقوف على ما لا يفهم المراد منه كقوله تعالى (بسم) و (الحمد) و (يوم الدين).[1]

علاقة الوقف بالمعنى :

إن لعلم الوقف علاقة أكيدة بعلم التفسير، إذ هو أثر من آثار التفسير ، ذلك أن من أختار وقفا ، فإنه اعتمد المعنى أولا . ثم وقف فالوقف يفسر، ثم يقف، وهو بوقفه على موضع الوقف يتبين وجه المعنى الذي يراه .

وإذا نظرنا في كتب هذا العلم ، أوفي وقوف المصاحف فإننا ننطلق من الوقف إلى المعنى . وهذا يعني ان بين المعنى والوقف تلازما ، وهو أن من قصد الوقف على موضع ، فإنه قد فسّر فإنه دلّ بتفسيرهْ على الموضع الصالح للوقف .

والأمثلة في علاقة الوقف بالمعنى كثيرة مثل ما ورد في أية القذف من سورة النور وهي قوله تعالى : ﴿ فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون، إلاّ الذين تابو من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم"(النور 4.5) .

فمن لم ير قبول شهادة القاذف بعد التوبة ، كان الوقف عنده على قوله تعالى : " ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا " .

ومن كان رأيه قبول شهادة القاذف بعد التوبة كان الكلام عنده متصلاُ ، وكان الوقف عنده على قوله الله تعالى : " فإن الله غفور رحيم " .

أي انه إذا بان المعنى، ظهر للقارئ مكان الوقف، لأن القارئ يَحسُن أداؤه بإبراز المعاني بالوقف على ما يتم منها، وبه تظهر جودة ترتيله.

فضل علم الوقف:

ان علم الوقف من أجل علوم الكتاب، لأنه يُستعان به على فهم القرءان والغوص على دوره وكنوزه وتتضح به الوقوف التامة والكافية والحسان، فتظهر للسامع المتأمل والقارئ المتدبر

[1] ينظر : جمال البيان في تجويد القرآن ، المرجع السابق صفحة 176

المعاني على أكمل وجوهها وأصحُّها، وأقربها لمأثور التفسير ، فإن اعتماد علماء الوقف وضع الوقوف وتفصيلها ، وبيان وجوهها مبني على النظر في معاني الآيات ، وفي بيان وجوه الوقف وتفضيل بعضها على بعض مأخوذ من المنقول والمعقول .

فلا ريب أن علم الوقف من العلوم التي تفسر بها وجوه المعاني القرآنية ، إذ المقصود منه بيان مواضيع الوقف بحيث يراعي القارئ المعاني فيقف ويبتدئ على حسب مايقتضيه المعنى واللفظ ، ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني فالنظر في الوقف معين على التدبر. قال تعالى: " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبرُوا آياته وليتذكر أولو الألباب "(ص29).[1]

علاقة الوقف بالمعنى :

ان لعلم الوقف علاقة اكيدة بعلم التفسير ، إذ هو أثر من اثار التفسير ، ذلك أن من اختار وقفا ، فإنه اعتمد المعنى أولا . ثم وقف فالوقف يفسر ، ثم يقف ، وهو بوقفه على موضع الوقف يتبين وجه المعنى الدي يراه .

واذا نظرنا في كتب هذا العلم ، أوفي وقوف المصاحف فإننا ننطلق من الوقف إلى المعنى . وهذا يعني ان بين المعنى والوقف تلازما ، وهو أن من قصد الوقف على موضع ، فإنه قد فسّر فإنه دلّ بتفسيرهْ على الموضع الصالح للوقف[2] .

والامثلة في علاقة الوقف بالمعنى كثيرة مثل ما ورد في أية القذف من سورة النور وهي قوله تعالى : " فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون ، إلاّ الذين تابو من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم " (النور 4.5) .

فمن لم ير قبول شهادة القاذف بعد التوبة ، كان الوقف عنده على قوله تعالى : " ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا " .

---

[1] سليمان الطيار،الماتع. دار ابن الجوزي. ط2. د.ت ص185.

[2] سليمان الطيار ، الماتع . دار ابن الجوزي .ط2 .د.ت ص185.

ومن كان رأيه قبول شهادة القاذف بعد التوبة كان الكلام عنده متصلاً ، وكان الوقف عنده على قوله الله تعالى : " فإن الله غفور رحيم " .

أي انه اذا بان المعنى ، ظهر للقارئ مكان الوقف ، لأن القارئ يَحسُن أداؤه بإبراز المعاني بالوقف على ما يتم منها ، وبه تظهر جودة ترتيله [1].

فضل علم الوقف :

ان علم الوقف من أجل علوم الكتاب ، لأنه يُستعان به على فهم القرءان والغوص على دوره وكنوزه وتتضح به الوقوف التامة والكافية والحسان ، فتظهر للسامع المتأمل والقارئ المتدبر المعاني على أكمل وجوهها وأصحُها ، وأقربها لمأثور التفسير ، فإن اعتماد علماء الوقف وضع الوقوف وتفصيلها ، وبيان وجوهها مبني على النظر في معاني الآيات ، وفي بيان وجوه الوقف وتفضيل بعضها على بعض مأخوذ من المنقول والمعقول .

فلا ريب أن علم الوقف من العلوم التي تفسر بها وحوه المعاني القرآنية ، اذ المقصود منه بيان مواضيع الوقف بحيث يراعي القارئ المعاني فيقف ويبتدئ على حسب مايقتضيه المعنى واللفظ ، ولا يكون ذلك إلا بتدبر واهتمام بالمعاني فالنظر في الوقف معين على التدبر [2] . قال تعالى : " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبرُوا آياته وليتذكر أولو الألباب " (ص29).

فإن في القرءان الهدى والذكرى والعلم والتزكية والرحمة والنور [3] ، كما قال عزوجل : " هذا ذكرُ من معي وذكرُ من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون " (الانبياء 24).

وقال أيضا : " فذكر بالقرآن من يخاف وعيد " (ق45).

" ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (البقرة 2) .

وقال تعالى أيضا : " ولقد جيناهم بكتاب فصلناه على هدى ورحمة لقوم يؤمنون " (الأعراف 52).

---

[1] نفس المرجع السابق ص185.

[2] عبد الله الميموني . فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الأيات . دار القاسم .د.ط.د.ت ص6-7.

[3] نفس المرجع السابق ص6-7.

إلى غير ذلك من الآيات .

وبالتالي فإن علم الوقف من الموضوعات التي لابد من قارئ القرآن الكريم أين يعرفها ويتدبر قواعدها ، إذ بها يعرف المراد من الكلام ويتبين المغزى من فصيح اللسان ، ويتيسر على السامع فهم ما يتلى عليه من آيات وأحكام ، وبه تعرف المنازل التي يصح للقارئ الوقوف عليها، والهدف كله من وراء ذلك هو عدم الإخلال بنظم القرآن الكريم .

نوع الوقف	تعريفه	نماذج من القران الكريم	موضوعه
الوقف التام	- هو الوقف على ما تم معناه في ذاته ولا يتعلق بما بعده لا لفظ ولا معنى وسمي تاما لتمام الكلام على موضوع معين للانتقال إلى غيره	" إن ربَّكَ لَهُوَ العَزيزُ الرحيمُ "	- يكون على رؤوس الأي .
		" وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ "	- يكون قريبا من رأس الآية .
		" كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ "	- يكون في وسط الآية .
		" وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ "	- يكون قريبا من اول الآية .
الوقف الكافي	- هو الوقف على ما تم معناه في ذاته لكنه تعلق بما بعده معنى لا لفظا ، وسمي كافيا للاستغناء به فيما بعد .	" لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا "	- يكون على رؤوس الأي .
		" فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا "	- يكون قريب من رأس الآية .
		" قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي "	- يكون في وسط الآية .
الوقف الحسن	- هو الوقف على ما تم معناه في ذاته وتعلق بما يعده لفظا ومعنى معا ، وسمي حسنا لأنه يحسن الوقف عليه لإفادته معنى يستقيم معه الكلام .	" الحمد لله رب العالمين "	- يكون على رؤوس الأي .
		" الحمد لله "	- يكون قريبا من أول الآية .
الوقف القبيح	- هو الوقف على مالم يتم معناه في ذاته وتعلق بما بعده لفظا ومعنى ، وسمي قبيحا لقبح الوقف عليه وعدم إفادته معنى يستقيم معه الكلام .	" الحق من ربك " " لا تقربوا الصلاة "	- قريبا من أول الآية .

تعليق:

الـــوقوف على رؤوس الأي يعـــنـــي الـــوقـف عـند آخر كلمة في الآيـــة نـــــحو (العَالمَينَ)، (المفلحون)، (عظيم) وفيه اختلف علماء الإسلام لكن الأمر الراجح أنه ذو تأثير كبير على المعنى فد يؤدي الى فساده أو إيضاحه كالوقوف على (فويل للمصلّين)وهو رأس الآية فَيفهم منه ان الله توعّد المصلـين بالويـــل والهـــلاك وهذا غير المعنى المـــراد من الآيـــة، وجاء فيه مذاهب وآراء أوله جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده مطلقا، وثانـيه جواز الوقف على رؤوس الأي والابتداء بما بعدها وثالثه جواز السكوت بلا تنفس على رأس كل آية وفي كل حكم تعليل علمي لأصحاب العلم ،ويبقى تصنيف نوع الوقف في القرآن الكريـــم هو المرجع الأساسي في الحكم على معاني الآيات وتحديد سياقها الخطابي المراد فهمه في هذا الكتاب المعجز بألفاظه المنزه من الخطأ

الخاتمة

الخاتمة

في الحديث عن الظواهر التطريزية ودورها في إنتاج المعنى، أشرنا إلى ظاهرة الوقف متخذين آيات من القرآن الكريم نموذجا، وفي رحاب هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج نذكر منها ما يلي:

-دراسة اللغة العربية لا يجب أن تكون بمعزل عن الظواهر الأخرى.

-اللغة العربية تحمل شرف احتواء لفظ القرآن الكريم.

-الملامح التطريزية هي مؤثر خارجي في الأصوات الكلامية وتساهم في تحديد وإنتاج المعنى.

-من عناصر الملامح التطريزية النبر والتنغيم والإيقاع والفاصلة القرآنية والسياقات غير المقامية...إلخ

-الظواهر التطريزية دراسة لما فوق المقطعية أو ما وراء اللغة غالبا ما تحدد سياق الخطاب وتخص معناه.

-النص القرآني معجز بألفاظه وأساس البلاغة والفصاحة.

-السياقات غير المقامية ملمح للتطريز تدرس خفايا السياق الكلامي وأثره في تحديد المعـــنى، والقرآن الكريم فيه دراسات.

-للفاصلة القرآنية أثر في التطريز، فعلم التجويد والتفسير يتخذ منها مؤشرا لتحديد معنى الخطاب القرآني.

-النبر والتنغيم من الظواهر التطريزية وظواهر صوتية مقطعية لها وظيفة بليغة في تحديد المعنى في الدرس العربي.

-الوقف ملمح تطريزي اعتنى به الدرس القرآني، له الأثر البليغ في إجلاء المعنى وسياقات الخطاب القرآني بشكل خاص.

ملـخص باللغة العربية

تؤثر الملامح التطريزية في الأصوات الكلامية وتسهم في تنظيم الأقوال وبنيتها،وتضم في الغالب الظواهر التالية:النبر،التنغيم،الإيقاع،الفاصلة والوقف.فالدراسات النحوية والصرفية والقرآنية...تختزل وتكشف تلك الملامح والنظريات،كما تلحُّ في الدرس العربي إلى ضرورة المعرفة الصوتية والتسليم بها،إذ أن الحديث عن هذه الملامح التطريزية انطلق من خلال الإسناد والمماثلة إلى لغات سامية كالعبرية مثلا،ومنه فإن كل ما هو وراء المقطعية أو ما فوق اللغة له دور كبير ومهم في إنتاج وتحديد المعنى وللقرآن الكريم دراسات في هذا المقام.

ملخص باللغة الفرنسية

Les caractèristiques prosotique (featus)affection les sons verbeales est. contribuent à l'organination et la structuralisation des porales elles comprennent le caractèristiques savant :le sttress,l'intonation,leryhthm et la pouse.

Lesètudesgrammaticoux et morphologiques et les ètudescoractèristiques et ces thèories.

Elles pressent dans les lecons de larabevers la connaissancedes sons.

On perle de ces caractèristiques prosodiques(featus) à partir de l'affèctation à des langues sèmitiques comme l'hebreu ,parcequetou qui est meta.Linguistiqueà un grand role dans la prroduction et la dètaminationdusens.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ المصادر والمراجع

-إبراهيم أنيس(الأصوات اللغوية)مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.

-إبن الجني،أبو الفتح (الخصائص)تحقيق محمد علي النجار،دار الكتب المصرية، الجزء2،سنة 1956م.

-إبن منظور،جمال(لسان العرب)دار صادر،بيروت،طبعة12،سنة2012م.

-برتيل مالبرج(علم الأصوات)ترجمة ودراسة عبد الصبور شاهين،بلام مكتبة الشباب،سنة 1985م

-تمام حسان (مناهج البحث في اللغة) دار الثقافة الدار البيضاء،طبعة2،سنة1974م.

-تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها)الهيئة المصرية للكتب،القاهرة،سنة1978م.

-الجرجاني. محمد (التعريفات)دار الكتب العربية. بيروت.

-الجاحظ،أبو عثمان(البيان والتبيين)تحقيق عبد السلام هارون،جزء1،سنة1960م.

-الجوهري (صحاح تاج اللغة وصحاح العربية) تحقيق أحمد الغفور زعطاز،دارا لعلم للملايين،طبعة4. الجزء2،بيروت. سنة1987 م

-حنيفي محمد شرف (إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق) مطابع الأهرام التجارية،سنة1970م.

-محمد الصغير بناني (النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عندالجاحظ من خلال البيان والتبيين) ديوان لمطبوعات الجامعية،الجزائر. سنة1983م.

-محمد حسن آل طعمة (جمال البيان في تجويد القرآن) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،لبنان،سنة2007م.

محمدالعف(المناسبةبينالفاصلةالقرآنيةوآياتها)رسالةماجستير،الجامعةالإسلامية،قسمالتفسيروعلو م القرآن،غزة، سنة2009م.

-السيوطي،عبد الرحمن(الإتقان)مطبعة المشهد الحسن.القاهرة. طبعة1 سنة 1987م.

-عبد الرضا الموسوي،نادية(الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند السيوطي في كتابيه الإتقان ومعترك

الأقران)دار صفاء للنشر والتوزيع،طبعة1،عمان.سنة2014م.

-السيوطي،عبد الرحمن(معترك الأقران)دار الكتب،بيروت.

-الزركشي(البرهان في علوم القرآن)تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار التراث،القاهرة.

-رضوان القضماني(الأنماط التنغيمية في اللسان العربي في علوم اللغة) العدد1،الجزء13 ،سنة 2013م.

-سيد قطب(في ظلال القرآن)دار الشروق،طبعة36،القاهرة،سنة2007م.

❖ المراجع المترجمة

-كهنري فليش(العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد)ترجمة عبد الصبور شاهين منشورات دار المشرق.بيروت.

-ماريو باي(أسس علم اللغة)ترجمة أحمد مختار عمر،طرابلس،سنة1973م.

❖ الرسائل الجامعية

-المجاجي،محمد أديب(النسق القرآني دراسة أسلوبية)رسالة دكتوراه بجامعة صنعاء بكلية الأدب،اليمن،سنة2002م.

❖ المعاجم

-الفرابي،أبو نصر(الموسيقي الكبير)تحقيق عطاس عبد المالك خشبة،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة.

-الزبيدي،محمد(تاج العروس)بتحقيق مجموعة من المحققين،دار الهداية،جزء14.

❖المعاجم اللغة الأجنية:

-Fox,(2000)prosidic features and prosidic structure.
-Mounim ,G(1974)dictionnaire de la lingusitique .
-Crystal.D(1964) :Systems of prosidic and pralingusitique feuture in english.Cruttenden.A(1986).
-Duboit.J.et autres(1973) :Dictionnaire de languistique.
-Spencer.A(1996) :phonology,theory and description

الفهرس

الفهرس

-مقدمة .(أ،ب،ج)
-المدخل:الإعجاز البلاغي واللفظي
-المبحث الأول:1-الإعجاز لغة واصطلاحا
1-1-الإعجاز عند السيوطي
-المبحث الثاني:الظواهر التطريزية
1-مفهوم الظواهر التطريزية
1-1-أصل الظواهر التطريزية
الفصل الأول:أنواع الظواهر التطريزية
المبحث الأول:السياقات غير المقامية
1-السياقات في الخطاب القرآني
1-1-من عناصر السياقات غير المقامية
المبحث الثاني:الفاصلة القرآنية
1-تعريف الفاصلة القرآنية
1-1-الفاصلة من حيث الأنواع
1-2-الفاصلةمن حيث الخصائص
1-3-صيغ المبالغة
المبحث الثالث:النبر والتنغيم
1-ظاهرة النبر ومفهومها
1-1-أنواعه والتراكيب التي يدخل فيها
1-2-أهميته
2-ظاهرة التنغيم ومفهومها
2-1-أنواع التنغيم وتراكيبه
2-2-أثر التنغيم في المعنى وأهميته
المبحث الرابع:النبر والتنغيم عند الجاحظ
1-النبر والتنغيم في سورة عبس

الفصل الثاني:الوقف في القرآن الكريم

المبحث الأول:تعريف الوقف

1-أنواع الوقف عند علماء التجويد

المبحث الثاني:علاقة الوقف بالمعنى

1-الوقف في القرآن الكريم